

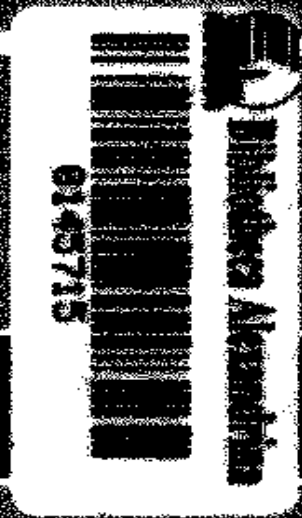
بیتھن کسٹریو



عَظِيم

بیتھن کسٹریو

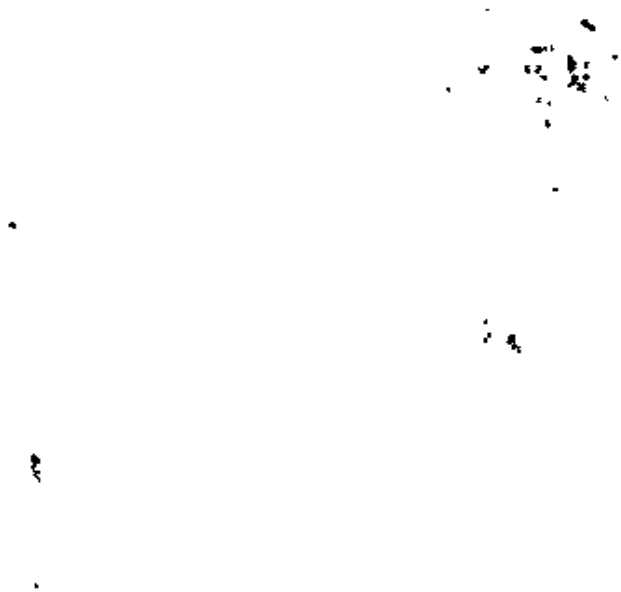
بیتھن کسٹریو





Government Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Beitakha Al-Alexandria

عطيل



وليم شكسبير

عُطِيل

تدقيق

طهران



اشراف

نظير بود

لا سكندرية	لبنان
892.33	م
نوع	م
آداب	م

دار نظير بود

National Library and Archives of Iran
Tehran, Iran

مؤيد الترجمة محفوظ
لدار نظير عسبورد

طبعة ١٩٩١م

صائب : ٨٠٨٦ / ١١ تلفون : ٩٣٦٧٧٢ - ٩٣٤٧١٤

كتب للمؤلف

ديوان الخليل
مرآة الأيام
إلى الشباب
من ينابيع الحكمة والأمثال

معرب عن شكسبير :

تاجر البندقية

عطيل

مكبث

هملت

عن كورنابي :

بوليوكت

السيد

سنا

عن فيكتور هيفو : مرناي

مقدمة

رغب إليّ جورج أفندي أبيض صاحب الفرقة المعروفة الآن باسمه ، في ترجمة هذه القصة ، فترددتُ زمناً ، ثم أتيت لي أن رأيتُه يمثل تجربة من « أديب » فأعجبني إتقانه وإتقان بعض أعوانه واستخرتُ الله في نقل عطيل إلى لغتنا الشريفة .

فلأذكر أولاً دعائي إلى إختيار اسم عطيل رداً على بعض المعارضين .

كان عطيل في زعم القصص الذي نقل عنه شكبير أصل هذه الحكاية ، بدويًا مغربيًا جلا إلى البندقية وخدم في جيشها حتى أصبح قائده الأكبر ، وعقيدته في الملّات (١) . والمغاربة يومئذ خليط من العرب والبربر المستعربة . فأما أن يكون قد دعى منذ مولده باسم إفرنجي فغير محتمل ، وأما أن يكون قد

(١) اللغة : النازلة الشديدة من نوازل الدنيا .

دعي باسم عربي حرّفته العجمة ، فهو الأصح عقلاً . فإذا رددنا
أوتلثو إلى لسانه الأصلي ، فالذي يستخرج من حروفه أحد اثنين :
عطاء الله أو عَطِيل . فأما عطاء الله فلم أتوصل إلى تحقيق أن
مغربياً واحداً سمي به ولهذا ضربتُ عنه صفحاً ، وأما عطيل
فقد اعتقدت أنه الأخلق بالاختيار لسببين : أحدهما أنه أشبه بما
جرت به عادة العرب على تسمية الزوج به من ألفاظ التحبب
أمثال مسعود و مسرور وزيتون ومرجان للذكور ، وخيزران
وضياء للجواري . ومعلوم أن عطيلاً تصغير تحبب لصفة عطيل
بمعنى عاطل أو خلوص من الخلية ، فتسمية أحد الزوج به إنما هي
محاكاة صحيحة لاصطلاح العرب . وثانيها لأن « عطيل » بضم
ورفع آخره مع تخفيف التنوين أقرب إلى أوتلو من كل اسم سواه .

بقي في هذا الصدد أن أقول مروراً للذين تمنوا لو أبقيت اسم
أوتلو كما أورده المؤلف ، إنني لم أوافقهم على هذا لأنني كرهت
أن أثبت في العربية اسماً من أسماءها على الرطانة (١) التي حرّفته
اليها العجمة لغير ما سبب سوى الشهرة التي اكتسبها على تلك
الصورة ، في حين أنه لا يتمدّر إكسابه مثلها وهو مردود إلى
أصله التقديري أو التحقيقي من غير أن نسوم مسامناً جراحة
تحريفه . ذلك أوحى إليّ اليقين أنه خير وأولى .

بعد هذا التفسير الذي تقاضتني إياه بعض الصحف ، ونفر

(١) الرطانة : التكلم بالأعجمية - كلام غير مفهوم - .

من الأصدقاء ، أرجع إلى الرواية ، ولي فيها مبحثان موجزان ،
من جهة الأصل ، ومن جهة التعريب .

* * *

أما من جهة الأصل فأقول إن واضح هذه القصة إنما هو
تابغة الأدهار في قننه وأعني به شكسير . وضعها لإظهار الغيرة
وتأثيرها في الرجل بأقوى وأصدق ما دل عليه الاختبار من
أمرها ، ولذلك اختار عاشقاً إفريقيًا بدوي الفطرة ، ليكون
وثاب الشهور عنيفه ، عسكري المهنة ، ليكون سريع التصديق
والانخداع ، مكتملاً أي في أول الانحدار من سن الأربعين ،
ليكون أشد في التعشق كما هي شيمة أمثاله ممن يسطو عليهم
الحب بعد انقضاء الشباب ، وليكون أيضاً في الحالة التي يتهم
فيها الإنسان نفسه بفقدان أكثر الخلال التي يقضيها الغرام ولا
سبباً حينما يكون المستهام أسود البشرة من أحلاس^(١) الحروب ،
والمستهام بها بيضاء منعمة من قوم فسددة الأخلاق مترفين .

ذلك هو الغرض الأساسي العام الذي رمى إليه شكسير
فأصاب به دقائق الحقائق إصابة كانت في جملة ما حمل أكبر
المفكرين وأعظم الكتبة على الشهادة له بأنه أخبر خير بخفايا
القلوب ، وأمر كشاف لخبائها .

ثم إنه أدار حول هذا المحور غرضين ثانيين : أحدهما إثبات

(١) الحلس : الذي لونه بين السواد والحمره ، أيضاً الشجاع .

أن العفة لا تلتقى من مدينة مها فسقت بل قد تزداد تمكناً من نفس المرأة المتحصنة بمقدار ما تندر العفة بين جيرتها وفي عشيرتها والثاني تبيين الاحتيال ونهاية ما يبلغه من نفس رجل ذكي مطباع خيس أصم الضمير ، مستبيح كل محرم ، مستهين كل منكر في سبيل غايته .

كيف صرف شكسبير قريحته العجيبة في ألوف الجزئيات التي تؤدي إلى تصوير الغرض الكلي والغرضين الملحقين به ؟ ذلك ما يقف عليه القارئ أول وهلة من مطالعته للنقصة فإنه يشعر قليلاً قليلاً أن الأسماء تمحى ويستبدل بها أشخاص مقومون في أصلح تقويم لكل منهم . ويدخل متدرجاً من الوهم في الحقيقة فيرى وهو يسمع ويسمع وهو شاهد مشاهد مما ألفه في الحياة لا يرد إلى كونه قارئاً سوى انتهائه إلى دفة الكتاب .

ومن جهة هذا التصوير الأخيـاذ الذي يصور به شكسبير الحقيقة رأى بعض جهابذة النقاد أن ذلك الأستاذ العظيم يبالغ فيه مبالغة قد يجاوز معها الحدود التي يرسمها الفن . صدقوا ولكن هل كانت عبقرية هذا الرجل لتحد بحدود ، وهل مثل العقل الذي رزقه كان مما يقيد بقيود ؟

الشاعر الذي افتن « فكتور هوجو » بفرابة شعره ، وجد عند فراسته وطلاقته وقوة تمثله للمعنويات بالحسيات . مبدأ المذهب الحر الذي ذهب إليه فيما بعد هو وأضرابه وأصبح سنة الكتاب في العالمين .

الكاتب المنقب المتعمق في مظاهر الخلائق ومضمراتها مع
قدرة على المحاكاة ومهارة في الاختيار وبراعة في التأليف
وسلطة على اللفظ يستدني به أبعد المماني ويقيد أو ابد الوجدانات
الذي أعجب به المؤرخ الفيلسوف « تان » وناهيك بألوف
المعجبين غيره من قبله ومن بعده .

الأديب الذي تترجم مكتوباته على وفرتها إلى كل لغات
الدنيا ، وفي بعض اللغات كالفرنسوية تكثر تلك الترجمات
وتتنوع ويميز أحاسنها الجمع الأدبي الأكبر كما أجزت ترجمة
« مونتيجو » و « ليتورنور » وغيرها فتطلع الأمم المختلفة الألسنة
والأجناس والأذواق والملل والنحل على مكتوباته سواء في
أصلها أو في غير أصلها ، وتقرّها في أعلى منزلة عندها لجمعها
المُذهِب والمطرب إلى المفكّه والمفيد والمبكي والمضحك إلى
الزاجر والمؤنس .

أهذا الذي يُطلب منه أن يكون أسير اصطلاح وعبد لفظة
ورقيق أوضاع سبق الاتفاق عليها .

خرج شكسير عن ذلك الطوق ونعمًا فعل . ولو أبقاه في
عنقه لما اشرباً صعداً إلى مساجسة أجرام السماء ، ولا أطاق
الإكباب إلى أبعد أغوار الأسرار في الطبائع البشرية .

من ذلك المنجم العظيم نجمت « عطيل » وهي إحدى آيات
مستنخرجاته ، ولما كنت أعهدده فيها من نادر المزايا وجدتُ من
كلفي بها معواناً على معاناة تعريبها .

* * *

فأما من جهة التعريب فأقول إن في نفس شكسبير شيئاً عربياً بلا منازعة وهو أبين فيها مما بان في نفس فكتور هوجو .
أقرأ لغتنا أم نقلت إليه عنها بعض المترجمات الصحيحة ؟ لا أعلم .
ولكن بينه وبيننا من وجوه متعددة مشاكلة محيرة ، فإن عنده
مثل ما عندنا جرأة على الاستعارة وذهاباً بضروبها في كل مذهب ،
وله مثل ما لنا كلفٌ بالتنقل الوثيبي من غير تهيد ولا استئذان
يدفعك من القصد إلى القصد وشيكاً وعليك أن تتمهل في فكرك
وتجد الرابطة ، وبه مثل ما بنا من الهيام في المبالغة التي لا يقبلها
من الكاتبين ولا يعقلها من القارئين إلا الذين في تصورهم حدّة
وجساح كما يكون عادة عند الشرقيين وخصوصاً عند العرب .
وعلى الجملة ففي كل ما يكتبه شكسبير شيء من روح البداوة
قوامه الرجوع الدائم إلى الفطرة الحرّة .

تناولتُ الرواية لأعرّبها و كأنني أنوي ردها إلى أصلها كما
رددتُ اسم عطيل ، وقبل أن أشرع فيها تفكرتُ في الأسلوب
الذي أخترته لها .

أهو ذلك الأسلوب المحرق الذي تشفُّ الفصاحة فيه عن رقع
العامية ؟ لا وألفاً لا .

فتأله لو ملكتُ تلك العامية لقتلتها بلا أسف ولم أكن بقتلي
إياها إلا منتقماً لمجد فوق كل مجد ، نزلتُ من هيكله الذهبي
الحالص الرنان منزلة الرجلين الحزفيتين القدرتين فهو فوقها
متداعٍ وبها مشوّه ، منتقماً لأمة كسرت العامية وحدثها وكانت

عليها أكبر معوان للتصارييف التي مزقتها في الشرق والغرب كل
ممزق ، منتقماً للفصاحة نفسها وأية فصاحة في 'خشارة' (١) لا
تصيب فيها تبر الأصل إلا وقد تلوث بذريرات لا تخصى من
أوضار (٢) الرطانات بأنواعها .

بعداً لهذا الاسلوب إذن! ولنختر غيره . . . أتؤثر الاسلوب
الجزل المتين القديم ؟

لا ولا لأن الروايات إنما كتبت ليفهمها القوم ويستفيدوا
منها مغزى يحسانب التفككة . أفنمكس عليهم تلك السنة
الشريفة التي سنتها النبي القرشي بقوله : أمرت أن أخطب
الناس على قدر عقولهم .

بعد هذا وذاك لم يبق إلا الاسلوب الوسط وهو الذي تكون
بمقتضاه الألفاظ كلها فصيحة لكن سهلة ، وتفكك الجمل تفكيكاً
يقرب مدلولاتها من الأفهام بمحاكاته لفنون المحادثات المستجدة
من غير أن يفوتنا الالتفات في ذلك التفكيك إلى أشات ما
صنع أدباء العرب من مثله لدواعي حال مخصوصة وإن لم يالفه
جمهور الكتاب الاحتفاليين .

هذا هو الاسلوب الذي آثرته وأرجو أن أكون قد وفقت
فيه بعض التوفيق ، فتجتمع معه لهذه القصة مزيتان : إحداهما

(١) الخشارة : الرديء من كل شيء .

(٢) الأوضار : غسالة القصة ، مفرد ما وضر .

أنها تكون عربية فصيحة لولا الأعلام ولولا تشقيق الكلم على ترتيب المخاطبة بين الفرنجة قديماً وحديثاً ، والثانية أنها تمثل أقوال شكبير حرفاً بحرف ولفظةً بلفظة مع مراعاة انطباق كل منها على الاصطلاح الديني أو الاجتماعي الذي لها عند القوم الممثلين فيصح أن تكون هذه التجربة مثلاً للتعريب يحتديه طلبة المدارس .

خليل مطران

أشخاص الرواية

- دوج البندقية :
برابنسيو : أحد الأعيان
أعيان آخرون
غراتيانو : أخو برابنسيو
عطيل : مغربي شريف قائد جيوش في خدمة البندقية
كاسيو : ملازمه
ياجو : حامل علمه
رديجو : وجيه بندقية
منتانو : سالف عطيل في ولاية قبرص
مضحك وخادم لعطيل
منساد
ديدمونه : بنت برابنسيو قرينة عطيل
إميليا : زوجة ياجو
بينكا : خلية كاسيو
ضباط ووجهاء ورسل وموسيقيون وملاحون وخدم إلخ ...

* * *

المشهد الأول يجري في البندقية وسائر المشاهد في مرفأ من مرفأء قبرص .

الفصل الاول

المشهد الأول

في البندقية - طريق

(يدخل ردريجو وياجو)

ردريجو : كفى . كفى . لا تجأطبني عنه بعد الآن . أنا آسف جداً لأنك
تسئمت^(١) خبر هذه المسألة يا ياجو . . . وأنت أنت الذي
بددت ما شئت من مالي وصرقت يديك في نقودي كأنها من
حر مالك .

ياجو : العجب أنك لا تريد أن تصفي إلى كلامي ولعمري لو أنني فكرت
مرة في خديمتك لكان لك أن تمقتني كل المقت .

ردريجو : قلت لي إنك حائق على هذا الرجل .

ياجو : إذا لم يكن ذلك حقاً فلا كانت لي كرامة عندك . ثلاثة من كبراء

(١) تلمس الخبر : تلتطف في التماس شيئاً فشيئاً .

المدينة . سَمَوْا وتوسلوا اليه ليجعلني ملازماً له . ويحق الرجولة
إنني لأعرف قيمة نفسي وأعرف أنني كفاء لتلك المنزلة . أما
هو فإنه لم يصنع إلا إلى مشورة كبريائه وإيعاز ما سبق إلى وهمه
فتخلص من إجابة سؤالي بعبارات منقوخة مشحونة بالألفاظ
الحربية ختمها بقوله للموصين بي : « لقد اخترت ملازمي » .
ومن هو ذلك الضابط ؟ الله الله ... هو حساب ماهر... يدعى
ميشيل كاسيو ... رجل فيورنتي .. فتى ذهب بلبسه النساء
الحسان ولم يُسَيَّر قط كتيبة في معارك ولا يعرف من تدبير
واقعة أكثر مما تعرف الفتاة العانس^(١) اللهم إلا من جهة العلم
النظري المستظهر من الكتب وهو علم يحسنه القساوسة كإحسانه
إياه فجملة معرفته العسكرية ثمرة محض بلا عمل . ذلك يا سيدي
هو الذي وقع عليه اختيار القائد بصرف النظر عما أبليته أنا من
البلاء الحسن في رودس وفي قبرس وفي أمصار أخرى مسيحية
ووثنية .. يسومني^(٢) قبيح الصبر على هذا التأخير ويُقدّم عليّ من
فوق رأسي ذلك المدون الرقام الكاتب الصيرفي يتخذ ملازماً له
وأنا - حمداً لله وسروراً بهذا اللقب - أبقى حامل علم لسيادته
المغربية .

ردريجو : تالله لو كنت مكانك لأصبحت جلاده .
ياجو : داء لا دواء وهو من آفات الخدمة . الرقي يُنال بالوصاة والصدقة

(١) العانس : الفتاة التي كبرت وبقيت في بيت أبيها ولم تتزوج .

(٢) يسومني : يكلفني .

لا بالسَّبْقِ الزماني الذي كان ينبغي بمقتضاه أن يجعل كل ثان خلفاً للأول .. بعد هذا يا سيدي أعمل رأيك فيما إذا كان يسعني أن أحب ذلك المغربي .

ردريجو : لو نالني منه ما نالك لما تبعته .

ياجو : حلماً يا سيدي وهدوء بال . إنما أتبعه لأنتقم منه . لا نستطيع جميعنا أن نكون سادة ولا طاقة لجميع السادة أن يخدموا خدماً أمناء .. إنك لتلغي (١) بين أولئك الخدم غير واحد من البئس الخانعين ذوي الركب اللينة يعجبهم رقم الثقل فيفنون أعمارهم على شاكلة الحير التي 'ترهق' (٢) بالأحمال حتى إذا بلغوا من السن عتياً (٣) طردوا بضرب السياط طرد المجرمين . غير أنه يوجد أيضاً بين الخدم أناس غير أولئك يظهرون بكل مظاهر الطاعة ويستعمرون كل أشكال الرعاية لكنهم يصونون ضمائرهم لخدمة أنفسهم ، ومع ما يبدو أنه من الإمتثال لولاتهم يوجهون مساعيهم لقضاء مآربهم حتى إذا وشوا ملابسهم بالذهب حبسوا تكراماتهم على ما اكتسبوه من رفعة القدر . أمثال هؤلاء لهم بعض النفوس وأجهر أنني واحد منهم . بل أزيدك يا سيدي تصريحاً عن حقيقة لا تقل عن حقيقة كونك ردريجو وهي أنني لو كنت المغربي ما أردت أن أكون ياجو فإذا اتبعته فلأنما إياي أتبع ويشهد الله أنني لا أوقره . ولا أطيعه . غير أنني أداجيه بالتوقير والطاعة

(١) تلغي : تجرد . (٢) عتياً : كبر حتى شاخ .

(٣) ترهق : تحمل فوق طاقتها .

توسلا بهما إلى أغراضى ، هذه خطتي وهى الكتان فإذا جاء زمان
باح فيه ظاهري للرجل ببعض ما فى باطني لم ألبث أن أضع قلبي
على رذن قميصي^(١) لتنقره الحدآت^(٢) الخواطف . أنا غير ما
يرى منى .

ردريجو : إنني لأستعظم على ذلك الأسود الوبري ما يقع إليه من السم
الذي لا يدانيه سم فى لو حصل على تلك الغانية أو حظي
بقربها .

ياجو : ناد أباهما .. أيقظه من نومه .. ناوىء ذلك المغربي .. دس السم
فى هنائه .. أجهر باسمه فى الأسواق .. امتشط على الفتاة
أهلها .. ثم أيا كان المرتع الخصب الذي يحله ذلك الرجل فاقتله
بذبابه ومها تكن سعاده هي السعادة بحقيقتها فأدركه بالوخز
والمضايقة حتى يمتقع^(٣) فى عينيه لونها الزاهي ولو قليلا .
ردريجو : هذا بيت أبيها . سأناديه صادعا^(٤) .

ياجو : افعل واجعل نداءك رهيباً مستطيلا مع حزن كما يكون فى ظلام
الليل وأمن الراقدين صوت الذي يستكشف النار فى مدينة
كثيرة الأهلين .

ردريجو : يا هو . يا من هنا . برابنسيو . سنيور برابنسيو .

(١) رذن : كم القميص ، طرفه الواسع وكانت العرب تضع فيه الدنانير .
(٢) الحدآت : نوع من الطيور . (٣) يمتقع : يتغير إلى صفرار .
(٤) صدع : صاح بصوت عال .

- ياجو : استيقظ . يا هو ، براينسيو ، اللصوص اللصوص . ارقب بيتك .
 بنتك . أكياسك . اللصوص اللصوص .
- برابنسيو : ما الموجب لمناداتي بهذا الصخب المرعب ؟ ما الخبر ؟
- ردريجو : هل كل أهل بيتك في البيت يا سيدي ؟
- ياجو : هل أبوابك مقفلة بإحكام ؟
- برابنسيو : لم هذا السؤال ؟
- ياجو : السؤال يا سيدي لأنك سرقت . 'سرق منك شرفك . إلبس رداءك . إن قلبك قد كسبر وإن شطرة روحك قد فقيدت . أنا أكلتك وفي هذه الساعة بل في هذه الدقيقة فحل' (١) عجوز أسود يغشى نعبتك البيضاء . إنهض . إنهض . أيقظ على قرع الجرس أهل المدينة النائمين وإلا استولدك الشيطان حفيداً . إنهض انهض . إني حذرته .
- برابنسيو : ما هذا الهديان ؟ أجانين أنتم ؟
- ردريجو : يا سيدي الجليل أتعرف صوتي ؟
- برابنسيو : لا .. من أنت ؟
- ردريجو : أنا ردريجو ...
- برابنسيو : لا أهلاً ولا مرحباً . لقد طالما حذرته من ارتياد أبوابي وأبلفتك بصراحة أن ابنتي ليست لك ، والآن بعد أن ملأت جوفك وأفرغت فيه ما لا يسع من الكؤوس حتى أصابك المس (٢) جئت بهذه المكيدة السيئة توقظني من نومي مرتعداً .

(١) الفعل : الذكر من كل شيء . (٢) مس : ضرب من الجنون .

- ردريجو : مولاي . مولاي . مولاي .
- برابنسيو : لكن تقى أن في خلقي وفي تجدي ما يمكتني منك فتندم .
- ردريجو : تلطّف يا سيدي الرحيم .
- برابنسيو : ما تلك السرقة التي تذكرها لي ؟ نحن في البندقية ومنزلي ليس
بعض الأهرام في الخلاء .
- ردريجو : يا عظيم الوقار برابنسيو ، لقد جتتك بقلب صافٍ ، وضمير
لا كيدٍ فيه .
- ياجور : أنت يا سيدي من الذين لا يخدمون الله لو نهام الشيطان عن
خدمته . الأنا جئنا نسدي اليك معروفاً وأنتك ظننتنا أهلّ
بفي تدّع ابنتك بغشاها جواد من البربر ؟ لتلدن لك حفداء
يصّهلون في وجهك وليكونن لك أبناء عمّ من الخيل وأقرباء
من المهارى .
- برابنسيو : أنت من أيها الداعي^(١) الضحكة ؟
- ياجور : أنا يا سيدي رجل جاء ليقول لك إن ابنتك والمغربي الآن
متكوتان في شكل حيوان ذي ظهري .
- برابنسيو : أنت سافل .
- ياجور : وأنت ... عضو في مجلس الأعيان .
- برابنسيو : سيكون لك معي شأن . عرفتك يا ردريجو .
- ردريجو : الشأن الذي تريده يا سيدي . لكن أبتهل اليك أنت تنبثني :

(١) الدعي : الذي يدعي غير أبيه في نسه .

أبشيدتكم وبقتضى حكمتك كما يكاد يثبت ذلك. خرجت كريمتك
 الجميلة في هذا الهزيع ^(١) الآخر من الليل إذ الناس نيام وإذ لا
 يزيد حارسها ولا ينقص عن أحد الفقراء الذين يخدمون الجمهور
 من ملاحاة الزوارق لتستسلم بين ذراعي مغربي كثيف ؟ فإن
 كان ذلك يعلم منك وسمح فقد أسأنا إليك وجرؤنا عليك وإلا
 فكأنني بك تهيننا ولا ذنب لنا. ولا تظن أنني تناسيت مقتضيات
 الكرامة إلى حد أن أستنزلك من مقامك العالي لمثل هذه المازحة
 بل أعيد عليك أن ابنتك - إذا كنت لم تأذنها - قد ارتكبت
 خطأ جسيماً بمنسحبها يدها وجمالها وعقلها وثروتها لأجنبي شرير
 بدوي موطنه هذا البلد وله من كل أفق سواه موطن . بادِرْ
 لتبشير الهدى. فإذا كانت ابنتك في غرفتها أو في البيت فادفعني
 إلى عدل القضاء ليعاقبني على خيد عتي إياك كما فعلت .

برابنسيو : اقدسوا الأزندة .. يا رجالي .. هاتوا لي مشعلا .. استيقظوا يا
 أتباعي .. استيقظوا كلكم . هذا الحادث لا يختلف كثيراً عما
 رأيته في حلمي .. يا الحوئي مما سألاقيه .. أنيروا يا رجالي
 أنيروا . (ينصرف عن النافذة)

ياجو : أستودعك الله ، لأنه ليس من العقل ولا من المصلحة أن أبقى
 فأتخذَ شاهداً على المغربي الذي بيده منصبني ، خصوصاً مع
 علمي أن الحكومة مها يسؤها منه هذا الخطأ فلا تستغني بلا خطر
 على البلاد عن خدمة هذا الرجل ولهذا عقدت له لواء الحرب

(١) الهزيع : الربع أو الثلث .

الناشبة الآن في قبرس ولو بحثت عن غيره ما وجدت لها خيراً منه، فضرورات معيشتي قاضية عليّ مع كرهني إياه أكثر من كرهني لعذاب السعير (١) أن أظهر له الولاء . على أنها علائم لا شيء فيها غير الظاهر .. فإذا أردت أن تجد الرجل فوجهه إلى المّثقل الذي فيه الضباط من استيقظ من القوم للبحث عنه وسأكون هناك بجانبه .. إلى الملتقى .

(يدخل براينسيو وخدم معهم مشاعل)

برائينسيو : صدقتني النبأ وإن الخطب لجلل فلم يبق لي إلا تجرع الصاب (٢) بعد الهوان في القليل الباقي من أيامي . قل لي يا ردريجو أين رأيتها ؟ وبنلها من فتاة شقية ! أمع المغربي ؟ من يجرؤ بعد هذا أن يكون والدأ ؟ كيف علمت أنها هي ؟ واحرّ قلباه ! خدعتني من وراء التصور... ماذا قالت لك ؟ هاتوا مشاعل آخر . أيقظوا كل أقاربي .. هل تزوجا ؟ أتظن أنها تزوجا ؟

ردريجو : ذلك ما أظنه .

برائينسيو : يا للتعجب ! كيف خرجت ؟ يا خيانة الدم ! أيها الآباء لا تأمنوا بعد الآن نفوس بناتكم على ما يبدين من الطهارة . ألا توجد ضروب من السحر تُعشّ بها الشيبية وتُستدرج العفة ؟ ألم تقرأ شيئاً في هذا المعنى يا ردريجو ؟

(١) السعير : لهب النار .

(٢) الصاب : شجر مر إذا اعتصر خرجت منه عصارتة على هيئة اللبن .

- ردريجو : بلى يا سيدي ا
 براينسيو : أيقظوا أخي . لماذا لم أرحب بك قريناً لها . إذهبوا بعضكم من
 جهة وبعضكم من جهة أخرى ، أتعرف أين نستطيع أن
 نلتقرب بها ؟
 ردريجو : أظن أنني أكشفها إذا صححتني وممك حرس أمناء .
 براينسيو : أرشدني أرشدك الله . سادعو الناس من كل منزل وأمرى مطاع
 عند الأكثرين . تقلدوا أسلحتكم . أيقظوا بعض الضباط المنوط
 بهم السهر . هلم بنا يا ردريجو وسأعرف لك هذه المنة .

المشهد الثاني

في البندقية - طريق أخرى

(يدخل عطيل وياجو وخدم بمشاعل)

- ياجو : لقد تموتدت القتل في الحروب ولكنني ما زلت أخشى تحميل
 ضميري إزهاق روح عن عمد وتموزني في بعض الأحيان مثل
 هذه الاستباحة لخدمة نفسي ، على أنني عذمت تسع مرار أو
 عشر مرار على إيلاج^(١) نصّلتي في ذلك الشيخ هنا تحت
 الأضلاع ولكن ...

(١) ولج : دخل .

عطيل : كان خيراً أن تجري الأمور كما هي الآن .

ياجو : والخير ما جرى . غير أن الرجل ثرثر ما شاء وطمع طمعنا مستفزاً في حق عليناكم بحيث إنني على قلة تقواي لم أكد أطيق الصبر على ما يقول ... لكن ألا يتفضل مولاي ويخبرني هل تم القرآن ؟ إن ذلك الشيخ الذي لقبه الشعب بالكريم محبوب حياً جماً وله في المجلس صوت أقوى مرتين من صوت الدوج ففي وسمه أن يضطرك إلى الطلاق أو أنت يحول دون مرامك بكل المكاييد والمشاكسات ^(١) التي يستمد أسبابها من القانون بما له من المقدرة والبأس .

عطيل : ليفعل ما يشاؤه حنقه . إن جلائل الخدم التي خدمت بها هذه البلاد لأبلغ في الشفاعة لي من شكاياته في الإضرار بي ... وسيعلم القوم مني — عندما يبيع الشرف الاقتنار — أني سليل بيت من البيوت المالكة وأن أعالي تقف موقفها العالي بجانب أعتى ^(٢) المناصب التي يبلغها بالتوفيق أمثالي . واعلم يا ياجو أنني لولا شغفي بديدمونة التي سحرت لي لما رضيت بكنوز البحار بدلاً من حريقي وبدوأتي اللتين لا يجدهما حد ثابت ولا تحصرهما دائرة ضائقة ... أنظر أنظر ... ما تلك الأنوار القادمة نحونا من هناك ؟

ياجو : هذا والدها استيقظ وجاء مع أقاربه . أولى لك أن تاتل

(١) المشاكسة : المخالفة . (٢) عتى : استكبر وجاوز الحد .

- عطيل : كلا يجب أن يروني بحقيقتي كما تظهرها لهم أخلاقي وألقابي
وطهارة ذمتي . أتظنهم إياهم ؟
- ياجو : يبين لي أن القوم غيرهم .
(يدخل كاسيو وبعض ضباط بمشاعل)
- عطيل : خدم الدوج ... وملازمي ... طاب ليلكم يا أصدقائي جميعاً .
ما وراءكم ؟
- كاسيو : الدوج يهدي اليك تحياته ويرغب في حضورك حالاً وألا تبطيء
عنه دقيقة واحدة .
- عطيل : في أي شأن تظن ؟
- كاسيو : إن صدق ظني فهو شأن مخصوص بقبرس ويظهر أنه عاجل لأن
السفائن أرسلت في هذا الليل اثني عشر رائداً متتابعين ، وكثير
من المستشارين أوقفوا وهم الآن مجتمعون في حضرة الدوج وقد
التمسوك في منزلك بإلحاح فلما لم يجدوك بعثوا ثلاثة أرهاط (١)
من الجند للبحث عنك .
- عطيل : من التوفيق أن تكون أنت الذي لقيتني سأدخل هذا البيت
مهلة كلمة تقال ثم أصحبكم . (يخرج)
- كاسيو : حامل العلم ما يفعل القائد هنا ؟
- ياجو : كأنني به غم في هذه الليلة سفينة من السفن الكبرى مشحونة
بالخيرات فإذا أقرت له فقد أصاب الثروة الخالدة .
- كاسيو : لم أفهم ما تعني .

(١) الرهط : عدد من الثلاثة إلى العشرة .

- ياجو : تروج .
كاسيو : ممن ؟
ياجو : تروج من ... (يدخل عطيل) هيا بنا أيها القائد أنمضي ؟
عطيل : نمضي ولا عائق .
كاسيو : أرى جماعة أخرى قادمة في طلبك .
ياجو : هذا براينسيو . حذار أيها القائد . إنه لينوي شراً .
(يدخل براينسيو ودرريجو وضباط بمشاعل وأسلحة)
عطيل : قفوا هنا .
درريجو : هذا هو المقربي يا سيدي ...
برائينسيو : أوقفوا به . هذا اللص .
ياجو : عليّ بك يا درريجو . قرنك (١) أنا يا سيدي .
عطيل : أغمدوا سيوفكم اللامعة لأن الندى ينزل عليها الصداً ... يا سيدي الجليل إن شيخوختك لأصلح للأمر من سلاحك .
برائينسيو : أنت أيها السارق الخسيس ؟ أين أودعت ابنتي . سحرتها يا رجل النار وأستشهد على جنائتك بأولي الألباب . أكانت لولا السحر فتاة بتلك الرقة وذلك الجمال ... فتاة ناعمة كل النعيم .. آتفة من الزواج إلى حد أنها لم ترض بواحد من أغنى وأجمل شبان أمتنا بعلا لها .. تتعرض للسخرية العامة بخروجها عن وصاية أبيها والتجائها إلى صدر أسود دهني كصدرك الذي يدعو إلى الخوف لا إلى السرور ؟ ليحكم الناس بيننا . أليس واضحاً وضوح

(١) قرنك : خصمك وغريمك .

البداهة أنك رقيتها^(١) برقى سيئة وأنت خدعت طفولتها بعقاقير
أو معادن تهيج الشهوة البدنية ؟ سأضع هذه المسألة تحت البحث
لأنها معقولة بل يلصقها الفكر لمسأ . فأنا قابض عليك إذن
ومهمتك بإفساد أخلاق العذارى وباستعمال صنائع محرمة وغير
مباحة قانونياً . خذوا بتلاييبه^(٢) . . وإذا قاومكم فأخضعوه
وعليه نتائج ما يصيبه .

عطيل : أثنوا أيديكم . لو رضيت القتال ما احتجت إلى داع يدعوني إليه

إلى أين تريد أن أذهب للإجابة عما تتهمني به ؟

برابنسيو : إلى السجن حتى ينقضي الزمن الذي عينه القانون وسير القضاء
فتسأل .

عطيل : إذا أظعتك فيما تريد فكيف أستطيع تلبية طلب الدوج وهذه
رسله يجانيي جاءت تدعوني إليه لأمر ذي بال في الحكومة .

ضابط أول : هذا حق يا أيها السيد الجليل . إن الدوج في مفاوضة وأنا واثق
من أنه بعث في استدعاء ذاتك الشريفة .

برابنسيو : أية مفاوضة يعقدها الدوج في هذه الساعة من الليل - سوقوه .

إن مسألتي ليست من المسائل التافهة - سيعلمها الدوج نفسه
وسائر إخواني من أركان الدولة ويشاطرونني غمي مما لحق بي
من الإهانة كأنه لحق بهم أنفسهم وإلا فإنه لو أبيع ارتكاب
أمثال هذه الجرائم لأصبح الأرقاء والوثنيون أولياء الأمر فينا .

(١) القرية : أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق القوى الطبيعية .

(٢) اللبابة : ثوب يلبس فوق الثياب عند التحزم للحرب .

المشهد الثالث

في البندقية - رَدْمَة المجلس

(الدوج جالساً إلى مائدة يحيط بها فريق من الأعيان
وضباط يقومون بخدمتهم)

- الدوج : ليس بين هذه الأنباء من التشابه ما يُجيز تصديقها .
العين الأول : الأنباء مختلفة جداً في الحق وقد ورد في الكتب المرسلة إلى أن
سفنهم المحاربة سبعمائة .
الدوج : وفي الكتب التي تلقيتها أن عدد السفن مائة وأربعون .
العين الثاني : ويُستفاد من أخباري أن السفن مائتان . غير أن الاختلاف هو
في الرقم - وفي مثل هذه الحالة تُرسل الأنباء تقديراً وتخميناً
وتكثر التباينات (١) - أما الحقيقة الثابتة بعد ذلك من جميع
المراسلات فهي أن هناك اسطولاً للمدوّ منجهاً بأمره
نحو قبرس .
الدوج : نعم هذا ما يقوله العقل ، وكل هذه الاختلافات في العدد تحدث
عندي قلقاً ورَيْباً .
ملاح (من الخارج) : يا هو . يا هو . يا من هنا .
أحد الضباط : رسول من السفن .
(يدخل الملاح)

(١) تباين الشيطان : تقارنا .

- الدوج : ما هنالك ؟
- الملاح : اسطول العدو ينتهي رودس وهذا بلاغ من قبل السنيور أنجلو.
- الدوج : ما قولكم في هذا الانقلاب ؟
- المين الأول : لا يُعقل لأدنى تصور . إنَّ هي إلا محاولة ومغالطة . إذ لو تبصرتنا فيما لقبرس من الشأن الخاص عند العدو لأدركنا من فورنا أنه إنما يقصدها دون رودس لأنها أصلح وأسهل مأخذاً وليس فيها من وسائل الدفاع والميرة ^(١) ما في رودس ، وعلى هذا لا يقذف في روعنا ^(٢) أنهم يخطئون ذلك الخطأ بتركهم قبرس وراءهم على كونها تهيمهم أولاً وأنها لهم أقيس وإلى متناولهم أقرب ويندفعون إلى جزيرة أخرى ينهبون عليهم منها الخطر ولا يحلُّون ^(٣) بطائل .
- الدوج : يقينا لا يعقل أن تكون تلك السفن مرسلة على رودس .

(يدخل رسول)

- الضابط الأول : هذه أخبار آخر .
- الرسول : أيها السادة الأجلاء الكرام إن الأعداء اتجهوا إلى رودس وعززوا اسطولهم بأسطول مساعد .
- المين الثاني : هذا ما كنت أقدِّره — كم تظن تعداد ذلك الاسطول المساعد ؟
- الرسول : يبلغ ثلاثين شراعاً ضمَّوها اليهم والآت هم عائدون ظاهراً نحو

(١) لا يقذف في روعنا : لا يداخلنا الظن . (٢) الميرة : الطعام .
(٣) لا يحلون : لا يستفيدون منها شيئاً يذكر .

قبرس . وهذا بلاغ من السنيور منتانو خادمكم الباسل الأمين
الذي يرفع اليكم تحيلاًته ويرجو أن تصدقوا بلاغه .

الدوج : تحقق إذن أن مقصدهم قبرس أليس فيها الآن مر كوكسيكو ؟
العين الأول : هو الآن في فيورنته .
الدوج : اكتبوا اليه من قبَلنا وأرسلوا الأمر من الفور بريدأ بريد .
العين الثاني : هذان براينسيو والمغربي الشجاع .

(يدخل براينسيو وعطيل وياجو ودريجو وضباط)

الدوج : يجب علينا يا عطيل الباسل أن نستعين بك عاجلاً على عدو الوطن
(إلى براينسيو) لم أراك قبلاً أيها السيد الشريف ، تحية
وتكريمًا . كنا في حاجة إلى مشورتك وإمدادك في هذه
الليلة .

برائينسيو : وأنا في حاجة إلى مشورتكم وإمدادكم أيضاً . أستمع من فضل
سموكم حلماً . إن الذي انتبذ بي من مرقي لم يكن داعياً
منصبي ولا نبأ جاءني عما نحن فيه . وليس هم المصلحة العامة
هتي الآن بل بي حزن خاص من تلك الأحزان المحتاجة المتقلبة
التي هي أشبه بالفيضان الجارف لكل ما يمر به . ذلك الحزن
قد طغى على سائر شواغلي واستغرقها وبقي وحده مالتاً نفسي .

الدوج : ما ذلك الخطب ؟

برائينسيو : بنيتي بنيتي !

الدوج والأعيان : أماتت ؟

برائينسيو : سأبت عني . 'خدعت' . 'سرق' مني . أفسدت 'برقي

وعقائير مشتراة من بعض الدجالين . وهل تستطيع الفِطْرَة ما لم يغيرها السحر أن تكون بلهاء عمياء حمقاء إلى ارتكاب مثل هذا الخَطَل (١) ؟

الدوج : أيا كان الذي استعان بمثل هذه الوسائل لاختطاف كريمتك من نفسها ومنك فسيقى من القصاص أشد ما تؤول به نصوص قانون العقوبات الرهيب بما ندع لك الرأي في تأويله . نعم هكذا سيكون ولو أن الجاني هو ابننا بنفسه .

برابنسيو : شكراً لسموكم بكل خضوع . إن الرجل هو هذا المغربي الذي سمعت أنك استدعيته الآن لبعض أمور الدولة .

الدوج والأعيان : إننا لأسفون أشد الأسف .

الدوج : بم تجيب دفاعاً عن نفسك .

برابنسيو : بلا شيء والحق ما ذكرتم .

عطيل : يا أولى الاقتدار والرفعة والوقار سادتي الأبحاد المدربين ، حق أنني أخذت كريمة هذا الشيخ بحيلة . وحق أنني اقترنت بها . غير أن ذنبي لا يتجاوز هذا القدر . إني خشن في مقالي وغير حاذق في صناعة المخاطبة باللسان السلمي العذب ، ذلك لأن هاتين الذراعين ، منذ بلغتنا مبلغها للسنة السابعة بعد مولدي إلى مبدأ التسعة الأهلة الأخيرة من عمري ، لم تألفا من الرياضة أجل بما ألفتنا منها حيال الفلوات المضروبة فيها الخيام وقيا عدا وقائع الحرب والجلاد لا أجد شيئاً ينطلق به لساني إلا اليسير من أحوال

(١) الخطل : إخطاء الرأي .

هذا العالم الواسع فإذا دافعت عن نفسي فلا قبل لي بتحلية الدفاع ولا خشية عليكم من تأثير محسناتي اللفظية ، ولهذا سأقص عليكم إن أذنتم بكلمات موجزة صريحة غير منمقة ولا مزدانة تاريخ غرامي وأذكر لكم أية العقاقير وأية الطلاسم وأية المؤامرات استخدمتها لإغراء كريمة فتعلموا مبلغ تلك التهمة من الصحة .

برابنسيو : فتاة تعيش حَيِّية هادئة خادرة تكاد تحمر خجلاً إذا أبدت حراكاً تخالف طبيعتها ومنها وأمتها ومنزلتها من الجاه بل كل مسوغ مشروع لتتعلق شخصاً كانت تهيب النظر إليه ؟ من قال إن الكمال يشد هذا الشنوذ عن نواميس الطبيعة فهو أبتى الرأي ناقصه ، والذي تقضي به الضرورة لدى حدوث مثل هذا الحادث أن يبحث عن علته في حيلة من حيل جهنم ، فأنا ما زلت مصراً أن ذلك الرجل أثر فيها بمزيج فعّال في الدم أو بشارب مَرَقِيّ لهذا الغرض .

الدوج : الإصرار ليس بالإثبات ولا بسد لك من الاستشهاد بوقائع أجلى وأدق من المزاعم العرضية والتقديرية السهلة التي تدل عليها هذه الظواهر المألوفة .

العين الثاني : ليتكلم عطيّل . هل اتخذت وسائل منعرفة ذات تأثير شديد لتنفث في ضمير الفتاة السم وتملكها بها ، أو قدرت إليها بالاستعطافات والإلحاحات الجميلة التي تناجي بها النفس النفس لتستميلها ؟

عطيّل : أبتهل اليكم أن ترسلوا في طلب السيدة من منزلي بالشككنة ولتتكم عني بمحضرة أبيها فإذا شهدت بشيء تستقبحوه مني فلا

تكتفوا بجرماني ثقتم وعزلي من مناصبي بل أوقعوا عقوبتكم
على حياتي .

لدوج : لتستحضر ديدمونه .

عطيل : حامل العلم اذهب وادلّسهم على مكانها (يخرج ياجو وبعض
الخدم) وفي انتظار قدومها سأقص على مسامعكم الشريفة
قصة هذا الغرام الذي ملكت به قلب تلك الحسناء وملكنت
به قلبي .

الدوج : اذكر لنا هذه السيرة يا عطيل .

عطيل : كان أبوها يحبني . وكان كثيراً ما يدعوني فيسألني ترجعتي مفصلة
سنة بسنة وبيان المكافحات والمحاصرات التي شهدتها وتعميدها ما
أحرزته من النصّرات ، فكنت أجيبه إلى أمنيته حتى لم تبق
في حياتي كبيرة ولا صغيرة إلا حدثته بها وذلك منذ نعومة
أظفاري إلى اليوم الذي كنت أجالسه فيه . فما وصفته له
الطواريء الرائعة والفواجع المبكية التي لقيتها برأ وبجرأ من
مثل ما جرى لي يوماً وقد أوشتك أن أقتل في ثلثة (١) من
ثلثات الحصار لولا لطف من الله تداركني عن قيد شعرة ، ومن
مثل استئساري يوماً لعدو وقح باعني ببيع الرقيق ، ومن مثل
شرائي رقبتي وضروب الغرائب التي صادفتها في أيامي . وكان
في خلال إخباري بتلك الوقائع يدخل في كلامي تصوير مفاوز (٢)

(١) الثلثة : فراخ لا يملأ . أيضاً : خسارة لا تعوض .

(٢) مفاوز : فلاة لا ماء فيها .

فسيحة وصحارى قاحلة ومحاجر كالحلّة وسخور وجبال تشمخ
 بقمها إلى العنان . كل هذه الأعراض كانت تمرّ تباعاً في أقوالي
 ناهيكم بمشاهداتي لأكلة اللحوم البشرية ولأقوام أخر جعل الله
 رؤوسهم تحت أكتافهم . وكانت ديدمونه تسمع هذه الأقاويص
 بشغف . سوى أنّ بعض مشاغل البيت كانت بين آن وآن
 تضطرها للقيام ، فإذا انصرفت لها قضتها بأسرع ما تستطيع
 وعادت تشرب حديثي بأذن ظمأى . فلما لحت ذلك منها
 استدرجتها ذات يوم في ساعة مناسبة لتسألني أن أقصّ عليها
 بالتأم سيرة رحلاتي التي كانت قد سمعت منها شيئاً ولم تتمكن
 من استتباعها فأعدتُ عليها تلك السيرة كما أرادت ، وكنتُ
 أراها غير مرة تبكي رحمةً لشبابي بما أصابني فيه من الأرزاء (١)
 الأليمة . وعندما ختمت قصتي كفاتني عليها بتنهدات لا تحصى
 وأقسمت أنها غريبة في الغاية وأنها محزنة إلى النهاية بحيث تمنّت
 لو لم تسمعها ، على أنها قالت في بعض ما قالت إنها كانت تودّ لو
 خلقها الله رجلاً على هذا المثال ، ثم شكرت لي معروفي وكاشفتني
 بأنه إذا كانت لي صديق يحبني فحسبي أن أعلمه كيف يقصّ
 ترجمة حياتي للرضى به قريناً . هذه العبارة جرّأتني فبُحّث لها
 بما في ضميري وعلمت منها أنها أحببتني بسبب الأخطار التي
 عانيتها وشمرت من نفسي أنني أحببتها لما تبينّت من شفقتها

(١) الأرزاء : المصائب .

عليّ ورقتها لي . ذلك هو الفنّ الوحيد الذي توسّلتُ به إليها
من أفانين السحر . على أنها قادمة وستسمعون شهادتها .
(تدخل ديدمونه)

الدرج : أعتقد أن قصة كهذه تُستَهْوَى بها ابنتي أيضاً . أيها العزيز
برابنسيو لا تنظرُ إلى هذه المسألة من حيث تؤمك . إن الرجال
لأشدُّ دفاعاً عن أنفسهم بأسلحتهم المخطّمة منهم بأيديهم وهي
خالية .

برابنسيو : ألتبس أن تسمعوا كلامها لتعترف أنها خَطّبتُ نصف الطريق ،
والله شهيد أن ملامتي لا تقع بشدّتها على هذا الرجل . تقدّمي
أيتها الأنسة الجميلة . أمدركة أنتِ لمن من هؤلاء الجماعة الشرفاء
يجب عليكِ الطاعة ؟

ديدمونه : يا والدي الشريف أجد هنا واجباً مقسوماً . أنا مدينة لك بحياتي
وتأديبي ومنها أعرف قدر ما ينبغي لك عليّ من التجلّيّة ^(١)
وما زلتَ خليقاً بطاعتي لأنني لم أزل سليلتك . غير أن هذا
الرجل قريني وإني لمُقرّة بين يديك أنني مدينة لهذا المغربي
بمثل الطاعة التي كانت تلبّيك بها أُمّي مؤثرة ^(٢) إياك على أبيها .
برابنسيو : عافاكم الله . انتهيت . أرجو من سموكم أن يتحوّل اهتمامنا إلى
مصالح الحكومة . كان خيراً لي أن أتبنّي طفلاً ما من أن ألدّ
هذه . ادنُ منها أيها المغربي . أعطيك هنا عن رضا ما كنت لا
أسمح لك به لو لم تستق إلى ملكه . لك فضلٌ عليّ يا جوهرتي

(١) التجلّيّة : الجلالة والمعظمة . (٢) مؤثرة : مفضلة .

بسرور عظيم سررتك الآن ، وهو أنتي لم أرزق سواك من
البنات ، لأن فرارك كان يضطرنني أن أعاملهن بقسوة المستبدين
وأجعل في أعناقهن الحبال . انتهيت يا مولاي .

الدوج : دعني أتكلم عنك وأذكر حكمة إذا عمل بها هذان العاشقان
تدرجا إلى رضاك . حيث بطل نفع الأدوية زالت الآلام بزوال
ما كان عالقا بتلك الأدوية من الآمال . البكاء على ما فات مجلبة
لغيره من الآفات . من عجز عن استعادة ما ذهبت به المقادير
فالأجدر به أن يحول بصره جِد المصاب إلى سخريّة ودعاب .
الرجل الذي يسرق فيبتسم ينتقص شيئا من السارق ، أما الذي
يحزن بلا طائل فهو سارق نفسه .

برابنسيو : إذن لندع الأعداء يفضبون منا قبرس ولا نخسارة علينا ما بهر
في استطاعتنا أن نبتسم هذه حكمة خفيفة الجري على لسان من
في قلبه مثل ما فيها من التسلية ، أما الذي يحمل الألم والحكمة
معاً فهو الذي يستعير من الصبر ما يدفعه إلى الحزن . أمثال تلك
الحكمة ، وفيها الحلو والصاب^(١) مجتمعين والقوة والضعف
متجاذبين ، إنما هي كلم ملتبسات على أنها ألفاظ ولسن إلا
إلا ألفاظا . وما سمعت حق الساعة بشفاء وصل من طريق
الأذن إلى قلب جريح . لتتكلم الآن في شؤون الدولة . هذا
ابتهالي اليكم بكل اتضاع .

الدوج : الأعداء متجهون بأسطول شديد القوة إلى قبرس . عطيل أنت

(١) الصاب : شجر عصارته مرة .

أدرى يجهد ما تستطيعه تلك الجزيرة من المقاومة ومع أن لنا هنالك عاملاً ذكياً فيه الكفاية كل الكفاية لصيانتها إلا أن المشورة التي لها القول الفصل في تحول الأحوال هي التي آثرتك وبك تجد مزيداً من الثقة فلا بد لك من أن تشوب بهجة فرحك بأخطار هذه الحملة وضوضائها .

عطيل : العادة وهي المستبدة قد استحكت مني أيها الأعيان المتبصرون حتى جعلت مرقد الصخر والفولاذ في الحرب ألين لي من مرقد الصخر والفولاذ في الحرب ألين لي من مرقد الزغب الناعم . وإنني لأشعر بسرور طبيعي وثاب لدى مغامرة الحن القاسية . فملي إذن تولي هذه الحرب في وجه الأعداء . وغاية ما ألتمه منكم مع الخضوع لعظيم اقتداركم أن تجعلوا لجليتي كفالة لائقة لمقامها فتمنحوها منزلاً وتجنروا عليها رزقاً يكونان على مناسبة شرفها وعلو محنتها (١) .

الدوج : لها أن تقيم عند والدها إذا رضيت .
 براينسيو : لا أرضى .
 عطيل : ولا أنا .
 ديدمونه : وكذلك أنا أستعفي صيانة لوالدي من أن تخرجه رؤيتي . أيها الدوج الرحيم تقبل مني دعاء أستمده بمعونتك لجرأتي .
 الدوج : ماذا تريد يا ديدمونه ؟
 ديدمونه : لقد أحسبت المغربي حياً يقضي عليّ بالأفارقة في حياتي . أثبت

(١) عندها : شرف ، أصلها .

ذلك بما تعرضت له من سوء الأحدثوة^(١) والاستسلام للقدر
 وقلبي يعينني على تحمل جميع المتاعب التي يقضي بها عليّ منصب
 هذا السيد الذي وقفت روحي وسعادتي على مجده وبسالته .
 فإذا تركزتموني أيها السادة الأعزاء مقيمة ههنا كالفراشة في أيام
 الصفاء على حين يذهب هو إلى الحرب حرمتوني إيفاء النذر
 الذي نذرت له لذلك الشرف الذي من أجله أحببته وسمتموني
 عذاب هجر طويل عليّ^(٢) مهها قصر ... فائذنوا لي بالسفر معه .

عطيل : إذنا بسفرها أيها السادة . أبتهل اليكم أن تجيبوها إلى سؤالها والله
 يشهد أنني لا ألتمس لها هذا العناء لمتاع نفسي وإخضاع لواعج قلبي
 فقد شفيت سورته الأولى ، ولكن لقضاء رغبتها بحب وكرامة .
 كما أنني أحاشي معاليكم الطاهرة من أن تظنوا أنني ساهل
 الأعمال الجدية الجسيمة المنوطة بي لأن حيلتي تكون يجاني .
 لا لا . ولو أنني استسلمت بفراغ استسلاماً يغشى بنميمه حزمي
 وعزمي ويفسد للذاته قيامه بواجباتي لرضيت أن تأخذ قوائد
 البيوت خوذتي ليصطنعن منها طاسة ، وأن يباريني في شهرتي
 ومجدي الزعانف^(٣) الذين يصحبهم النحس والخجل فيظهروا علي
 ويسبقوني .

الدوج : ليكون من أمر حلها أو ترحالها ما تريان أنتم . الحاجة ملحة
 والخطب يقتضي المبادرة .
 العين الأول : ينبغي أن تسافر الليلة .

(١) الأحدثوة : المديح والثناء . (٢) الزعانف : الطائفة من كل شيء .

عطيل : بكل ارتياح .
الدوج : سنجتمع هنا الساعة التاسعة صباحاً فاستبق يا عطيل واحداً
من ضباطك ليحمل اليك غداً تكاليفنا ومرسومات تنصيبك
وتلقيبك .

عطيل : إذا حسُنَ لدى مرحمتكم أستبقي حامل علمي . هو رجل أمين
نزيه واليه سأعهد في إحضار امرأتي وحمل ما تشاء مرحمتكم
إرساله إلي .

الدوج : ذلك اليك . طاب ليلكم جميعاً . (إلى برابنسيو) أيها السيد
الشريف إذا صح أن الفضيلة لا تخلو قط من جمال خلاب فصهرك
أجمل بكثير مما هو أسود .

العين الثاني : صحبتك السلامة أيها المغربي الباسل . أحسن معاملة ديدمونه .
برابنسيو : اسهر يا مغربي إذا كانت لك عينان ترى بها . إنها خدعت أباهما
وقد تخدعك أيضاً .

(يخرج الدوج والأعيان والضباط النخ)

عطيل : أنا أضمن أمانتها بحياتي . أي ياجو النزيه إني مضطر أن أدع لك
ديدمونه وأرجو أن توصي امرأتك بمنحها ما ينبغي من الخدم
وعليك أن توصلها إلى الجزيرة في أحسن ما استطاع . تعالي يا
ديدمونه لم يبق لي إلا ساعة نخلو بها للوداع وتدبير شؤون رحلتنا
الوقت حاكم لا بد من طاعته . (يخرج عطيل وديدمونه)

ردريجو : ياجو .

ياجو : ماذا تقول يا ذا القلب النبيل ؟

- ردريجو : أي شيء تظنني أتمناه الآن ؟
- ياجو : لا جرم أن تتمنى الذهاب إلى السرير والرقاد .
- ردريجو : سأذهب لإلقاء نفسي في البحر حالاً .
- ياجو : إذا فعلتها لم أحببك بعد الآن . أتفعلها أها الشريف الأبله ؟
- ردريجو : البلاهة أن تعيش حيث العيش ألم، وأنجح دواء هو الموت، حيث يكون الموت هو الطبيب .
- ياجو : يا له من جبن ! لقد بلغت الثامنة والعشرين من سنتي ومنذ طفيلتُ أتبين الإساءة من الإحسان لم أجد رجلاً يحب نفسه حق الحب . أنا قبل أن أعزم على الهلاك غرقاً لهيامي في دجاجة ما ، أوثر أن أتحول من رجل إلى قرد .
- ردريجو : ما في وسعي أن أعمل . أعترف أن العشق وقد بلغ هذه الغاية عارٌ عليّ ولكنه ليس في طاقتي أن أستشفي منه .
- ياجو : الطاقة ؟ ما معنى الطاقة ؟ نحن الذين بإرادتنا نكون كذا أو كذا . أجسامنا حدائقنا ومشياتنا بستانيوها بحيث لو عن لنا أن نزرع فيها صنفاً دون آخر أو نستنبتها عشباً أو نزرع غيره أو نخدمها فتخصب أو نهملها فتُمحِل ففي مشياتنا من السلطة ما يكفي لإعدادها وتنقيحها على حد ما نشتهي . ثم إنه لو لم تكن في ميزان أعمارنا كفة من العقل لمعادلة كفة الشهوة لكأنت خيسة طبائعنا تدفعنا إلى أوخم العواقب . غير أننا رزقنا العقل لإخاد ثورة غضبنا وتسكين لواعج أمانينا البدنية وكبح شهواتها التي لا لحم لها . ومما تقدم أستنتج أن الذي تسمونه

‘حبتاً إن هو إلا فسيحة كسائر الفسائل أو فرع كسائر الفر

ردريجو : غير معقول أن يكون الحب هكذا .

ياجو : بل قل هو - وما يزيد عما أعرفه به - مطمعٌ من الدم ،

من الإرادة . تنهتُ وكن رجلاً . أتفرق نفسك ! غر
بعض الهرر أو بعض الكلاب الصغيرة العمياء . لقد أبديت
صداقتي وأحاهرك أنني مشدود إلى كرائمك خلالك بحبال
خالدة ، ولم يكن قط في وسعي أن أحدمك كخدمتي
الآن . ضع نقوداً في جيبك واتبعنا إلى دار الحرب مخفياً و
وراء الحيسة مستعارة . ضع نقوداً في جيبك ، نصيحة مني
إذ لا يُحتمل أن تستمر ديدمونه على حبها للمغربي .. ضع
في جيبك ... ولا يحتمل أيضاً أنه هو سيستمر على شفق
طويلاً ، ذلك بأن البدانة العنيفة في مثل هذا الاتصال
الانفصام العنيف ... ضع نقوداً في جيبك ولا تكلف
غير هذا العناء ... إن هؤلاء المغاربة لمتقلبون في أهواءهم
إملاً جيبك نقوداً . فإن الطعام الذي يجده الساعة شهياً كما
سيصبح في فمه مرراً كالعلقم . وأيضاً هي ، فإنها ستبتدئ
بديلاً أنضّر عوداً ، وعندما تشبع من رسمه تتنبه
اختيارها وتريد التغيير ... حتماً ... على هذا ضع نقوداً
جيبك ... وإن كنت مصيراً على التهالك بلا محيص قد
شيئاً أقل فظاعة من الفرق ... إجمع ما تستطيعه من النقود
فإذا لم تكن قدسية الزواج وضعف اليمين التي يرتبط بها

شريد ورفيقة من فواعم البندقية أمرين فوق المكاييد التي يفتقها
فكري وفوق جميع القوى الجهنمية فإنك لا محالة متمنع بها .
إذن هتّى، نقوداً ... أتفرق نفسك؟! بنس الرأي من رأي
خائب . انثيذّه وفضلّ أن تشنق وقد قضيت ما ربك علي
الفرق الذي بفضيك عن هذه الدنيا وفي نفسك تلك الحسرة .

ردريجو : أنتشط بلا ملل ولا انحراف لتحقيق آمالي إذا عزمت علي
هذا السفر .

ياجو : أنت علي ثقة مني . اذهب وأعدد نقوداً . قلت لك مراراً وأعيد
عليك قولي تكراراً إنني أكره ذلك المغربي وبغضي له متأصل
في فؤادي كما هو متأصل في فؤادك فلنجمع ثاريناء وإذا استطعت
أن تدنس عرضه كان ذلك لك سروراً وكان لي تفكها . الميالي
يحملن كثيراً من الحوادث وسيلدنها . إلى الأمام إلى الأمام .
اذهب واجلب نقوداً ثم نستأنف المفاوضة غداً . أستودعك الله .

ردريجو : أين نلتقي غداً صباحاً ؟

ياجو : في منزلي .

ردريجو : سأذهب اليك مبكراً .

ياجو : حين تشاء . إلى الملتقى . أسمعت ؟

ردريجو : ماذا تقول ؟

ياجو : أقول إياك والغرق .

ردريجو : غيرت عزمي وسأبيع أملاكي .

ياجو : اذهب موقفاً وضع نقوداً كافية في جيبك (يخرج ردريجو) .

بهذه الحيلة وبأمثالها جعلت هذا الأحمق موضع جبي ولولم أفعل
لانتقصت التجارب التي اكتسبتها ، إذ لا معنى لإضاعة وقتي
مع مثل هذا الفرخ الرومي ما لم أستفد منه تسلية ومالاً . أنا
أمقت المغربي ويظن الجمهور أنه أعلى منصي من تحت لحافي على
أنني لا أعلم إن كان هذا الظن صحيحاً ولكن الوهم في مثل هذا
يكفي عندي للحلول محل الحقيقة . الرجل يحترمني وأحترمه
إياي يزيدني رجاء بإفلاح مكايدي... أما كاسيو فهو شاب جميل
لنفكر في أمره هنية ... ما العمل للحصول على منصبه بحيث
أكون قد أصبت رأسين عن رمية واحدة من رميات غدري ؟
أية الحيل أفضل ؟ لنفكر قليلاً . خير وسيلة فيما أظن أن آخذ
بمخادعة أذن عطيل فألقي فيها كلمة بمعنى أن كاسيو شديد
التقرب من امرأته . على أن شكل كاسيو وحسن أدبه يريان ،
وقد خلق لإغواء القواني . ولما كان المغربي صريح الضمير بيثن
الطوية يعتقد النزاهة في كل من يرى عليه ملمحها كان من الميسور
لي أن أقتاده من أنفه كما يقتاد الحمار . هذه مكيدتي ظفرت
بها ... فليستولدها صلب الظلام من بطن جهنم خالقاً شاداً إذا
طلع عليه النهار ظهر فظيماً رهيباً .

الفصل الثاني

المشهد الاول

مرفأ في قبرس ورواق

(يدخل منتانو ووجيهان)

منتانو : ماذا تتبين في البحر من جهة الرأس ؟

أحد الحاضرين : لا أتبين شيئاً . البحر مضطرب جداً ولا أستطيع أن أرى شراعاً بين السماء والماء .

منتانو : أجد أن الريح قد أزعجت الأرض ولا أظن أن إعصاراً كان أشد على حصوننا ومتمنعاتنا من هذا الإعصار . على أنه إذا كان هذا ما فعله في البحر فأية الأشجار استطاعت أن تبقى في منابتها عندما تحاذفت عليها جبال الأمواج . أي شيء سيحدثنا من أخبار هذه العاصفة .

الوجيه الثاني : تفرق اسطول الأعداء . انظر من الشاطئ المضطرب ترّ الأمواج

الثائرة كأنها واثبة لتضرب السحاب ، بل كأنها هاجمة بعفُراتها^(١) الرائعة المتعالية لتلقي ماءً على النار المتقدة في نجوم الدُّبِّ ولتطفئ تلك الثوابت من حراس القطب . ما رأيت عمري غضبةً للبحر الهائج كهذه الغضبة .

منتانوَ : إذا كان اسطول العدو لم يلبجاً إلى الموانئ فإنه لفريق وتستحيل عليه المقاومة . (يدحل وجيه ثالث)

الوجيه الثالث : أخبار جديدة يا أولادي . انتهت الحرب لأن هذه العاصفة الجوح تركت أساطيل الأعداء مكسورة الأجنحة وقد رأى غرقها وتحطُّمها مركب قادم من البندقية .

منتانوَ : يا للعجب أصدق ما تقول ؟

الوجيه الثالث : المركب قد دخل المرفأ ونزل منه فيروني^(٢) يدعى ميشيل كاسيو . هو ملازم المغربي الباسل عطيل . ومن قوله إن عطيلاً في العباب الآن وإنه موفد البنا ليكون آمراً مطلقاً في قبرس .

منتانوَ : أنا مسرور به لأنه حاكم جدير بهذا المقام .

الوجيه الثالث : غير أن كاسيو هذا على ما جاءنا به من الأنباء الطيبة عما حل بالأعداء لا يبسندو عليه الارتياح بل هو كئيب يدعو الله لنجاة المغربي لأن العاصفة بشدتها فرقت بينها .

منتانوَ : لنضرع إلى الله أن يسلمه فقد خدمت تحت إمركه وهو قائد لا عيب فيه . هلم إلى الشاطيء لنرى المركب الذي وصل ونرقب

(١) عفرات : شعر القفا من الأسد .

(٢) فيروني : نسبة إلى مدينة فيرونا بإيطاليا .

بأعيننا مَقْدَمَ عَظِيمٍ . ولنلبث ناظرين من موقفنا حتى تختلط
في أبصارنا خضرة البحر وزرقة الهواء .

الوجيه الثالث : لنفعل ذلك فإنه يرجى في كل دقيقة طروق فوج من الواقدين .
(يدخل كاسيو)

كاسيو : حمداً لك أيها الباسل حاكم هذه الجزيرة لذكرك المغربي بمثل هذا
المدبح . لعل الله يقيه فقد ضللت عنه في بحر زاخر بالأخطار .

منتانو : أتقول سفينته صالحة للمقاومة ؟

كاسيو : سفينته متينة البناء ودليله ملاح مشهود له بالمهارة ، لهذا لم يضعف
أملني بجيئه .

صوت (من الخارج) : شراع . شراع . شراع .

كاسيو : ما هذا النداء ؟

الوجيه الرابع : خلّت المدينة من أهلها وجميعهم على الشاطئ يصيحون :
هذا شراع .

كاسيو : قلبي يحدثني بأن هذا مجيء الحاكم . (قصفة مدفع)

الوجيه الثاني : تلك قصفات وداد فلا بد أن القادمين من أوليائنا .

كاسيو : هلاً ذهب يا سيدي فأخبرتنا من القادمون ؟

الوجيه الثاني : أنا ذاهب .

منتانو : أقائدك متزوج أيها الملازم الكريم ؟

كاسيو : صادفته العناية فللك قلب فتاة لا يحيط بجأها الوصف ولا

المبالغة . فتاة تفوق بحاسنها الفطرية أبرع ما يتخيله الكاتبون

وأبداع ما يصوره المصورون . (يعود الوجيه الثاني)

كاسيو : بشرنا من دخل المرفأ ؟

الوجيه الثاني : رجل يدعى ياجو حامل علم القائد .

كاسيو : وفتق في سفره وسبق الأوان . فلا ريب أن العواصف نفسها ،

والبحار الشائرة ، والرياح الزائرة ، والصخور التي تعترضها

الأمواج والرمال المتراكمة الخائنة التي تنصتد المركب البريء

قد داخلها شبه رقعة للجمال فتحوّلت عن طبائعها المهلكة ،

لتفسح سبيلاً أمينة تمر منها ديدمونه .

منتانو : من هذه الإنسانة ؟

كاسيو : هي التي كنت أذكرها لك . هي قائدة قائدنا العظيم . جاءت

يرعى طريقها الباسل ياجو الذي وصل بها قبل الموعد بسبعة

أيام . أيها المشتري الأكبر مالك البحر أيد عطيلاً واملأ شراعه

بنسمتك القديرة ليشرق هذا المرفأ بزيارة مركبه الجميل ولينعم

بقرب ديدمونه وليذكى في قلوبنا ما خبياً^(١) من ضم^(٢)

الشجاعة وليمنح قبرس الأمن والسكون .

(تدخل ديدمونه وإميليا وياجو ودريجو وبعض الأتباع)

كاسيو : انظروا هذه كنوز المركب قد نزلت إلى البر . يا سكان قبرس

سجوداً لديها . تحية وسلاماً أيتها السيدة ولتُعطي بك النعم

من كل جانب .

ديدمونه : شكراً لك يا كاسيو المقدام . ما عندك من أخبار سيدي ؟

(١) خبا : سر ، خفي . (٢) ضم : لب .

كاسيو : لم يصل بعد ولكنه بخير فيما أعتقد . وسيكون ههنا عما قليل .

ديدمونه : أواه ، أنا خائفة . كيف لا تكون مصاحبه ؟

كاسيو : فرقت بيننا مكافحة الماء والسماء . لكن سمعاً هذا شرع .

صوت (من الخارج) : شرع . (قصفة مدفع)

الوجيه الثاني : قصفات تحية للقلمة ، هؤلاء هم أيضاً أصدقاء .

كاسيو : وافينا بالنبأ (يخرج الوجهيه) يا حامل العلم الكريم مرحباً بك

(إلى إميليا) وأهلاً بك أيتها السيدة . يا صديقي يا جو ، لا

تخسنى إذا تماديت في عياملتي لامرأتك فإن الأدب الذي ربيت

عليه هو الذي يحملني على تجاوز اللاتق (يقبل إميليا) .

ياجو : لو أعطتك من شفيتها مقدار ما تعطيني من لسانها لا كتفتت

سريماً .

ديدمونه : أسفي عليها لقلنا تتكلم .

ياجو : وذهمتي إنها لتتكلم فوق الكفاية . أشعر بذلك كلما جاءت ساعة

الرقاد . لا جرم أنها في حضرتك الآن تضع شيئاً من لسانها في

قلبها ولكنها تختصمني في فكرها .

إميليا : لا سبب بدعوك لمثل هذا اللمز .

ياجو : كيف لا ؟ كيف لا ؟ وأنقن النساء حور حين تكن خارج

البيوت ، وأجراس حين تكن في الخسور ، وهيرر برية في

المطابخ ، وقديسات حين تصدقن لإهانة أحد ، وشياطين حين

يجرو أحد على تكدير كن ، وبواهل^(١) عواطل حين تجب خدمة

(١) الباهل : المتردد بلا عمل .

- المزمل ، ونشيطات مشتغلات بأمر المزمل حين تدخلن الأسرة..
- ديدمونه : وَيَحُكُّ لَكَ مِنْ نَمَامٍ ...
- ياجو : لست بنمام ، هي الحقيقة أو أنتسب لأعداء بلادي إنكن إن تنهضن فالتنزه أو تدخلن الأسرة فلاشتغال بمسائل البيوت .
- إميليا : لو ابتغيت مادحاً لما استعنت بك .
- ياجو : أولى لكِ ثم أولى !
- ديدمونه : ولو كلتفت بمدحي ما تقول ؟
- ياجو : أيتها السيدة الشائقة لا تكلفيني عملاً كهذا لأنك إن طلبت مني غير الهجو صيرتني إلى عدم .
- ديدمونه : خالف طبعك وجرّب . أذهب أحد إلى الميناء ؟
- ياجو : نعم يا سيدتي .
- ديدمونه : لست منشرفة الصدر لكنني أخادع حالة بضدها . أجبني كيف تمتدحني .. ؟
- ياجو : أفكر في ذلك فما أجد فكري ينطلق من يافوخى^(١) إلا وهو منتزع دماغى وسائر ما هناك كما يفعل الغراء بالوبر الطويل وقد علق به ، غير أنه إذا كان لا بد لقريحتي أن تتمخض فهذا ما تلده : « إذا كانت المرأة جميلة وذكية فجهاها لخدمة الآخرين وذكائها لاستخدام الجمال » .
- ديدمونه : أحسنت . فإذا كانت المرأة سوداء وذكية ؟

(١) يافوخ : أعلى الرأس ملتقى عظام الرأس .

- ياجو : إذا كانت المرأة سوداء وذكية وحدثت رجلاً أبيض لا يرى سوادها سواداً .
- ديدمونه : انتقلنا إلى أقبح مما سبق .
- إميليا : فإذا كانت جميلة وحقاء ؟
- ياجو : لا حماقة مع الجمال لأن الجمال يُعينها على إيجاد وارث لها .
- ديدمونه : هذه سفاسف قديعة قيلت لإضحاك البلهاء في الحماريات فإن استزدنا فأبي شيء ، تقوله في البشمة الحقاء ؟
- ياجو : مهما تكن بشعة وحقاء فإنها ترتكب من الفوايات ما ترتكبه الحسناء الفطنة .
- ديدمونه : ما أكثف هذا الجهل ! تصف أقبح النساء بأحسن ما عندك . والآن كاشفنا برأيك في امرأة فاضلة واثقة من شرف خلالها بحيث لا تخشى اللوم ولا التثريب .
- ياجو : المرأة التي عاشت جميلة ولم تتكبر ، التي لُزمت حدث الكلام الحر في مناسباته ولم تجارزه إلى الطنطنة ، التي توفّر الذهب بين يديها ولم يُطيش قلبها ، التي استأهلها الغرام فلم تَمَلْ وهي قائلة في نفسها لو شئت لاستطعت ، التي غيظت وملكك الانتقام فأسكتت غيظها وسأحت في ألها ، التي لم تضعف عندها الحكمة حتى ترضى بذنب كلب البحر بديلاً من رأس المرجانة ، التي ذكافكرها ولكنها لم تتجه به إلى كشف محاسن نفسها ، التي لحت المحمين يهرعون وراءها ولم تلتفت . تلك إنسانة لو وجدت ومثلها لا يوجد ...

ديدمونه : لو تسنى وجود تلك الموصوفة فما تقول فيها ؟
ياجو : أقول إنها كانت أصلح النساء لإطعام الأغبياء وتدبير حسابات
الفنادق .

ديدمونه : بثت النتيجة المرجاء الكسيحة . لا تتعلمي منه هذا العلم يا
إمبليا ولو أنه قرينك . ما رأيك فيه يا كاسيو أليس هجاءً
شديد الاستباحة عن غير خبرة ؟

كاسيو : يتكلم بلا تصنع يا سيدتي ولكنه يعجبك بسيفه أكثر مما
يعجبك بلسانه .

ياجو (على حدة) : وضع يده في يدها . أحسنت أحسنت . ناجها (١) هماً .
مق وجدت مصيدة من نسيج العنكبوت رقيقة كهذه الحاشية لم
يصعب علي أن آخذها ذبابة لو بلغ حجمها حجم كاسيو . نعم
ابتسمي له . تمتع . سأصيّدك بليوننة أدبك . كل ما تقوله
صحيح ... بلا ريب ودمتي . كان خيراً لك وأنت عازم على
استبقاء منصبك ألا تجعل أصابعك الثلاثة في فمك توسعها تقبيلاً
لترى الحسنة أنك شاب جميل ... أحسنت . هكذا ثم الأصابع
ما اللف هذه الجملة ... في الغاية في الغاية ... ما هذا ؟ أتعبد
أصابعك إلى فمك مرة أخرى ؟ ما أشوقني لرؤية تلك الأصابع
تتحول عند حاجتك إلى أنابيب محقنة . (يسمع بوق عسكري)
لقد جاء المغربي عرفت بوقه .

(١) ناجه : استقبله بما يكره ، رد أقبح الرد .

- كاسيو : نعم هو هو^(١) .
- ديدمونه : بدار^(٢) للاقائه .
- كاسيو : بل قد أقبل . (يدخل عطيل ورهط من أتباعه)
- عطيل : يا حبيبتى الشجاعة .
- ديدمونه : يا حبيبي عطيل .
- عطيل : لا يعادل سروري بلقائك إلا إعجابي بأن أراك تقدمتني يا بهجة حياتي ، لو كانت جميع العواصف تنتهي إلى مثل هذا الصفاء فليت الرياح تزارح حق توقظ الموتى وليت قلبي وهي تعاند المعاطب ترتفع بها جبال من الأمواج عالية كالأولبس^(٣) ثم تنحدر بها إلى الحضيض البعيد بُعد جهنم عن السماء أما والذي بيده نفسي لوددت أن أموت الآن من فرط ما أنا فيه من السعادة المطلقة التي أخشى ألا يعاودني مثلها في المستقبل المجهول !
- ديدمونه : أعفانا الله من أن يُنتَقَصُ حُبُّنا وهناؤنا قبل أن يحين أجلنا .
- عطيل : أجب بآمين على هذا الدعاء يا أيتها السماوات الرحيمة ، لا أستطيع الإفصاح عما أنا فيه من الغبطة كما أتمنى . يكاد السرور لشدة يقطع علي أنفاسي ، لتكن هذه القبل (يقبلها) غاية ما يبلغه قلبانا من الحُصام والشقاق .
- ياجو : أنتم الآن على أتم اتفاق ولكن أقسم بنزاهتي إلا ما أرخيت الأوتار التي تخرج هذه النغمات المؤتلفة .

(١) هذه الماء توضع للوقف . (٢) بدار : أسرع .

(٣) الأولبس : اسم جبل شهير ببلاد اليونان .

عطيل : هلم بنا إلى القصر ، أنا حامل اليكم بشرى يا أصحابي .. انتهت حروبنا بفرق الأعداء ، كيف حال الذين عرفناهم قبلاً من أهل هذه الجزيرة ؟ أي حبيبتي سيقيمون لك أفراحاً عظيمة في قبرس ولي عند ساكنيها مودة أعنتد بها ، أي حبيبتي إنني أكثر من الكلام بغير ما يجب وأكاد أهذي من وفرة ابتهاجي ، أرغب اليك يا أميني يا جو أن تذهب إلى المرفأ وتحمل إلي أشياء ثم ادع رئيس الملاحين إلى القلعة فهو ذو براعة فوجب له الإكرام . تعالي يا ديدمونه ، على الرحب والسعة نزولك في قبرس .

(يخرج عطيل وديدمونه)

ياجو : (مخاطباً ردريجو) إصحبني حالاً إلى المرفأ ، تقدم إن كنت شجاعاً ، يزعمون أن سفلة الناس مقى عشقوا اكتسبوا من شرف النفس ما يفوق فطرتهم ، فأصغر إلي : الملازم يسهر الليلة بين الحرس واعلم أن ديدمونه مغرمة متيسمة به .

ردريجو : مغرمة به ؟ هذا غير ممكن .

ياجو : أقفل شفتيك بإصبعك هكذا وتعلم ... ألم تلح بأية قوة أحببت المغربي ابتداءً وذلك لمفاخراته والأكاذيب الوهمية التي قصتها عليها ؟ أتراها تحبه أبداً لأمثال هذه الثمرات ؟ ستتوق عينها إلى منظر جميل ، وأي شعاع تجده حينئذ برؤية ذلك الشيطان ، متى برؤد الدم بعد جهد المداعبة الغرامية كان لا بد لإيقاده ثانية ولإدخال جوع شديد على الشعب من جاذب في الملامح ، وتناسب بين العمرين ، وتوافق في العادات ، وتشاكل في المحاسن ، والمغربي خلص من هذه الأشياء وأمثالها ، فأما وهذه المشوقات مفقودة

منه فمن الحق أن تلك النفس الرقيقة ستري كيف خدعها ولا تلبث أن يأخذها الفواق (١) تقزاً (٢) منه ، وأن تقلاه وتبغضه ، فحينئذ تندفع بدافع الطبيعة إلى رجل آخر تؤثره . فإذا ثبتَ هذا يا سيدي وهو تقدير بديهي لا شبهة فيه بقي أن الرجل الذي في طريق السعادة إنما هو كاسيو ذلك الضحكة العشاق الذي لا يتسع ضميره لأكثر من تزويق شكله بظاهر الأدب والحشمة يخفي بها ما تحتها من أهوائه الفاسدة المنحرفة ، وإيم الحق إنه لفي أحسن جادة (٣) تبلغه هذه الغاية خصوصاً مع ما هو عليه من اللبونة والتلطف لمقاصده ومن التعود على انتهاز الفرص السائحة التي ربما خلقها بدقة نظره ورشاقة حيلته فهو هزأة رجم وفوق ذلك شاب وجميل إلى سائر الصفات التي تختلب بها ألباب مجنونات الغرام ثم إنه يتصل كالمرض الممدي وحسبك منه أن المرأة قد لمحتة .

ردريجو : لا أصدق ما تدعيه لأنها ميالة إلى الفضيلة كل الميل .

ياجو : كلمني عن فضيلتها وأكلمك عن أدناب الدين ، لو كانت كما تتوهم لما أحببت المغربي . بل إن بها صلاحاً ولكنه صلاح القطعة من حلوى البودنج . ألم ترها لاعبة بمقبض يده ، ألم ترها ؟

ردريجو : بلى رأيتها غير أنها مجاملة لا شبهة معها .

(١) الفواق : تعرفه العامة بالظفطة . (٢) تقزاً : استنكاراً واحتقاراً . (٣) الجادة : الطريق القوية .

ياجوو : قسماً بيدي لا مجاملة ، ولكن مغازلة . لم تكن السبابة (١) أول الدهر إلا المستهيلة (٢) الخفية لتاريخ الأفكار الأثيمة والمحرمات الشهوية . أو شك ثغراها أن يلتقيسا وتلائم نفساهما . ذلك من ضروب من الشروع في الجريمة يا ردريجو ، وأمثال هذه المجاملات متى افتتحت السير ففي العادة أن يتبعها القائد ومعظم الجند على الأثر والعاقبة الالتحام . نخل عنك هذا يا سيدي ودعني أقفدك عما أنتي أحضرتك من البندقية . كن في عسس (٣) هذا الليل وسأسير اليك الشمار (٤) . كاسيو لا يعرفك وأنا أكون قريباً منك . استنبط وسيلة لإغضاب كاسيو سواء بمخاطبته جهراً أم بالسخرية من نظامه أو بأي سبب آخر تختساره والأسباب ستكون متوافرة في تلك الساعة .

ردريجوو : سأفعل .

ياجوو : إنه يا سيدي غضوب وله مفاجآت في كدره وربما ضربك . حره حتى يفعل وعندئذ أنتهز الفرصة أنا لإثارة فتنة بين شعب قبرس تكون خاتمتها لا محالة عزل كاسيو وهكذا يختصر سفرك إلى غايته بما أكيد من المكاييد لتحقيق هذه الأمنية ويزول من وجهك هذا الحائل الذي لا ندرك مع وجوده مرامنا .

ردريجوو : إذا سنحت فرصة لم أتردد .

(١) السبابة : ثانية الأصابع بعد الايام . (٢) المستهيلة : المفتحة .

(٣) عسس : حرس ، سهر .

(٤) سأقول لك كلمة المرور في المواقع العسكرية .

ياجوو : ستجد الفرصة عن يقين . إلحق بي إلى القلعة بعسد هنية وأنا
ذاهب إلى المرفأ لأبعث إليه بثقله (١) . إلى اللقاء .
ردريجوو : إلى اللقاء .

ياجوو : أن يحبها كاسيو ذلك صحيح وأعتقده وأن تحب هي كاسيو ذلك
محمل وسهل التصديق . المغربي — على كرهه له — شريف الخلق
ثابت في حبه ولعله يكون لديدومونه بعلا وفيأ لكن أنا الآن
احبها أيضاً لا لشهوة تقضى — وإن كان الإحساس الذي يدفعني
اليها لا يقل عن ذلك إجراماً — بل لأنها تهشىء لي سبيل انتقامي
ذلك لأنني أظن أن المغربي الفاسق قد اندس في فراشي وهو
تخمين يأكل الأمعاء أكل السم المصدني ولا شيء يرفقه (٢) عن
نفسه إلا أن أجعله عديلي ، امرأة بامرأة ، فإن لم أستطع فإن
أثير فيه من نار الغيرة ما لا يقوى عليه العقل . ولإدراك هذا
المرام أرجو أن يطاوعني ذلك النشاق (٣) الحاذق الذي جلبته
من البندقية بلا كلمة ، فإذا تبع الأمر جيداً لم ألبث أن أملك
ميشيل كاسيو عاجلاً من كليتيه وأن اسود وجهه في نظر المغربي
تسويداً تاماً لأنني أخشى أيضاً أن يكون بين كاسيو المذكور
وبين القبعة التي ألبسها للنوم عداوة يسمي لإزالتها (٤) ثم أريد
أن يحبني المغربي وأن يشكر لي بالحمد والمكافأة جملي إياه

(١) ثقله : محمول المسافرين من ملابس ونحوها . (٢) يرفه : يخفف .

(٣) يصف ردريجوو بصفة الكلب .

(٤) إشارة إلى اشتباهه في ربة ينويها كاسيو لامرأة ياجوو .

جحشاً بيننا وإفلاقي راحته وإفسادي سعادته إلى أن 'يُحَنّ'
جنونا . هذا مبدأ الخطة التي رسمتها هنا (يشير إلى جبهته)
لكيدي . هي خطة لا تزال يحملتها مبهمه ولكن وجه الخديعة
لا ينكشف إلا إذا أتت الخديعة فعلها .

المشهد الثاني

طريق

(يدخل مناد بيده قرطاس والشعب يتبعه)

المنادي : اقتضت مشيئة عظيم قائدنا الشريف الباسل بناءً على ما ورد
من الأنبياء المحققة بدمار اسطول الأعداء أن يعيد الأهلون سروراً
بهذا الحادث ، بعضهم بالرقص وبعضهم بإطلاق السهام التشارية
وكلٌ بالملهي والألعاب التي يؤثرها . ذلك لأن هذا اليوم عدا ما
جاء فيه من الأخبار السارة يوم الاحتفال بقرانه . وقد أمرنا
بإبلاغ الشعب أيضاً أن جميع مطاعم القصر ومقاصفه مفتوحة
ولن يشاء أن يأكل فيها ويشرب منذ هذه الساعة الخامسة إلى
أن يُقرع جرس الساعة الحادية عشرة . بارك الله في جزيرة
قبرس وفي قائدها الشريف عظيم .

المشهد الثالث

رَدْمَةٌ فِي الْقَصْرِ

(يدخل عطيل وديدمونه وكاسيو ونقر من الحاشية)

عطيل : يا عزيزي ميشيل ارقب الحرس الليلة ولنعين لمسراتنا المدي الذي يقتضيه العقل لسلا تتجاوز نحن الحد الذي يميزه التصون^(١) .

كاسيو : أمير يا جو بما يجب وسأرقب العسس^(٢) بنفسي .

عطيل : يا جو أمين جداً ، طاب ليلكم ، تلتقي بكورة غد يا ميشيل لحاجة بي اليك ... (إلى ديدمونه) تعالي يا غرامي لنذوق من جنى ما كسبنا ذلك النعيم الذي لم نذوقه إلى الآن ، طاب ليلكم .
(يخرج عطيل وديدمونه والحاشية)

(يدخل يا جو)

كاسيو : مرحباً بك يا يا جو ، علينا الحراسة .

يا جو : لم تجيء الساعة العاشرة أيها الملازم وإنما صرفنا قائدنا الليلة قبل الأوان من أجل غرامه ولا ملام عليه لأنه لم يقض إلى الآن ليلة كاملة مع ديدمونه على كونها قطعة تليق للمشاري^(٣) .

(١) التصون : صون النفس عما لا يحمد .

(٢) العسس : الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الروبة .

(٣) المشاري : كبير الآلهة عند اليونانيين الأقدمين .

- كاسيو : إنها لسيدة شبيهة جداً .
- ياجو : و'محببة للثعبان . أحلف لها على ذلك . .
- كاسيو : وعندى أنها أنضرت المخلوقات وأرقبها .
- ياجو : ثم إن لها نظرة اليك أدعى ما تكون إلى البراز .
- كاسيو : نظرة إقبال ولكن عن سلامة .
- ياجو : وإذا تكلمت ألا 'يخال من صوتها أن ديانا (١) تضرب نغمة الغرام على توقيع حربي .
- كاسيو : هي الكمال مجسماً ولا مرأه .
- ياجو : لندع السعد يتبطن لحافها وتعالَ أيها الملازم ندخل إلى هذا المكان فقد خبأتُ فيه إبريق نبيذ وهناك بعض الكرام القبرسين 'يسرّون بشرب نخب في صحة عطيل الأسود .
- كاسيو : لا أشرب الليلة أيها العزيز ياجو لأن رأسي من أضعف الرؤوس وأقلتها تحملاً للخمر وكان بودي لو أن الأدب اخترع لنا وسيلة غيرها للتودّد والتجامل .
- ياجو : الضيوف من أصدقائنا ولا تشرب إلا كوباً واحداً ، بل أشربه عنك .
- كاسيو : ما تعاطيت الليلة إلا كوباً واحداً مقتولاً (بالمزج) ومع ذلك قد بدا عليّ أثره . إني أسيف لهذا الضعف ولا أجروء أن أحمل نفسي كوباً آخر .

(١) ديانا : إلهة الصيد .

ياجو : أتصرّ على الامتناع أيها الصديق والليلة ليلة عيد وأصدقائنا
يتمنون مسابقاتنا النخوب ؟

كاسيو : أين هم ؟

ياجو : بالباب أرجو أن تذهب وتدعوهم .

كاسيو : سأفعل ذلك على أنه لا يعجبني .

ياجو : إذا استطعتُ أن أسقيه كأساً غير التي شربها قبلاً امتلاً من

الخصومة والسباب كامتلاء الكلب الذي تعوله مولاتي الجميلة...

ومن جهة أخرى فإن رديجو رفيقي المريض الأبله الذي قلب

الحب دماغه قد شرب الليلة كأساً بعد كأس تكريماً لديمونه

وسيكون مع العسس ، وهناك أيضاً ثلاثة من فنية قبرس كرماء

النفوس شديداً التحمس في مسائل الشرف لو اندفعوا في كريمة

اندفع معهم جميع سكان قبرس الشجعان قد سقيتهم إلى الشرق

وسيكوفون من الحراس . بقي عليّ أن أستفز كاسيو بين هذا

القطيع من السكارى المدمنين لإتيان أمر يعتدونه مهيناً للجزيرة

وأهلها ، لكن أراهم قادمين ، ولئن طابقت النتائج مقدمات

تديري سارت سفيتي على ما أشتهي بمونة المد ومواقفة الريح.

(يدخل كاسيو ثم منتانو ثم أعيان آخرون ثم خدم يحملون

آنية الشراب)

كاسيو : لقد أوصالوني إلى حد النشوة .

ياجو : هاتوا خمرأ (يتفنى) :

دعوني أرتن الدن^(١)
دعوني أرتن الدن
ما الجندي إلا إنسان
ما العمر إلا دقائق
خلوا الجندي يشرب ماشاء
هاتوا نبيناً يا أولادي

كاسيو : بالله انشودة جميلة .

ياجو : تعلمتها في إنجلترا التي أهلها أقدر الناس على تفريغ الدنان بلا
نزاع ، أما الدانمركيون والالمان والهولنديون ذوو البطون
الكبيرة . هاتوا خيراً . فإنهم لا شيء في مقابلة الإنجليز .

كاسيو : وهل الحقيقة على ما تصف ؟

ياجو : الواحد منهم يعاطي الدانمركي حتى يدعه ميتاً من السكر وهو
لم يتمب ، كما أنه يغلب الالمان في هذا المجال ولا يعترق ، فإذا
ناظر الهولندي أرسله يتقايأ قبل أن يملأ الزق^(٢) الثاني .

كاسيو : في صحة قائدنا .

منتانو : اشرب هذا النخب أيها الملازم وأنا قريمك^(٣) مهيا ترفع الكأس .

ياجو : واهاً لإنجلترا الشائقة (ينشد) :

(١) الدن : وعاء كبير فخاري .

(٢) الزق : وعاء من الجلد . (٣) قريمك : مغالبك .

كان الملك إتيين نبيلاً شريفاً
 يشتري سراويلاته بتاج^(١)
 ويظنه مغبوناً بستة بنسات من الثمن فقدأ
 يلقب الطرزي^(٢) بالضحكة
 كان شاباً بعيد الشهرة
 وأنتَ لست إلا رجلاً دينياً
 الكبرياء مضيعة للأمم
 فقم وتدثر بدثارك العتيق
 (نبيذاً يا غلمان) .

- كاسيو : بدمتي لهذه الأغنية اللطيف من الأولى .
 ياجو : أتريد أن أعيدها عليك ؟
 كاسيو : لا . لأنني أعتقد أن من يعمل مثل هذه الأعمال غير حدير
 بمنصبه . على أن الله فوق العباد والعباد فريقان يوم الدين :
 ناجون وغير ناجين .
 ياجو : هذا حق أيها الملازم الكريم .
 كاسيو : أما أنا فأرجو أن أكون ناجياً ولا يؤخذني في ذلك القائد
 ولا أي رجل ذي مكانة .
 ياجو : وأرجو النجاة لنفسك مثلك .
 كاسيو : نعم ولكن بعدي لأن الملازم يجب أن ينجو قبل حامل العلم ،
 لكن حسبنا حديثاً في هذا المعنى ...

(١) تاج : نوع من العملة . (٢) الطرزي : خياط الملابس .

لنلتفت إلى شؤوننا. اللهم اغفر لنا خطايانا. أيا السادة لنتلفت إلى شؤوننا ... لا تظنوا أني سكران يا سادتي ، هذا حامل حامل علمي ، وهذه يمني وهذه يسراي ، لست سكران البتة . أستطيع الوقوف قوياً والتكلم حسناً .

- الجميع : حسناً جداً .
- كاسيو : على المرام . إذن لا ينبغي أن تظنوني سكران .
- منتانو : إلى الرواق يا سادتي نرتب العسس . (يخرج كاسيو)
- ياجو : أنتظر هذا الرفيق الخارج الآن ؟ هو جندي لائق للخدمة تحت إمرة قبصر ولتولي القيادة العامة . إلا أنه مصاب بهذه الآفة كما ترى وهذه الآفة بالغة منه مبلغ فضله فهو بينها شطران مستويان . غبن عظيم . وإني لأخشى أن تكون الثقة التي لعطيل به سبباً في زلزلة الجزيرة إذا حمله السكر يوماً على منكرة من منكراته .
- منتانو : أكثر ما يكون على مثل هذه الحالة ؟
- ياجو : هذه الحالة تكون على الدوام مقدمة لمنامه . وإذا لم تُرَقِدْه الذشوة فقد يقضي يومه بليله مستيقظاً .
- منتانو : يحسن أن يُنبه القائد إلى هذه الخصلة فقد لا يراه فيه وقد تكون الفضائل التي يجدها عنده حاجبةً نظرَه عن عيوبه .
- ألا ؟ (يدخل رديجو)
- ياجو (مخاطباً إياه على حدة) : ما أتى بك يا رديجو ؟ إذهب عدواً وأدرك الملازم . إذهب . (يخرج)

منتانو : من الحيف أن يعرف المغربي العظيم للخطر منصباً ذا بال كمنصب نائبه بتركه إياه بين يدي رجل مصاب بأفسة كهذه لا يرجى شفاؤه منها ، ومن المروءة أن يفتاح في هذا الشأن .

ياجو : أنا لا أفعل ولو أعطيت هذه الجزيرة كلها بدلاً من إقرارتي لأنني أحب كاسيو وبودتي لو أستطيع شفاؤه مهما أبدل فيه من مرتخص وغال لكن أسمع صوتاً ... ما هذه الجلبة ؟

(يعود كاسيو دافعاً أمامه ردريجو)

كاسيو : يا خسيس ... يا نذل .

منتانو : ماذا جرى يا ملازم ؟

كاسيو : غبي يعلمني واجبي ، سأضربه ضربة تسحقه حتى يدخل في زجاجة .

ردريجو : تسحقني ؟

كاسيو : أترثر يا دنيء ؟

منتانو : حلماً يا سيدي الملازم ، أضرع اليك ! اكفف يدك .

كاسيو : دعني ، أنت يا سيدي ، وإلا كسرت فككتك .

منتانو : كفى كفى أنت سكران .

كاسيو : سكران ؟ (يتضاربان بالسيوف)

ياجو (مخاطباً ردريجو على حدة) : طيرٌ وصيحٌ : فتنة فتنة (يخرج ردريجو)

حللك أيها الملازم الكريم . أسفاً يا أيها السادة . المعونة يا للناس .

سيدي الملازم . سنيور منتانو . المعونة . نعم الحراس (يقرع

جرس الخطر) من يقرع هذا الجرس ؟ قف . ستستيقظ المدينة .

يا قوة الله . هدىء غضبك أهبنا الملازم ، متلثحيق بنفسك
عاراً خالداً . (يدخل عطيل يليه نفر من الحاشية)

عطيل : ماذا يجري هنا ؟

منتانو : تالله إن دمي ليسيل بلا انقطاع ، وإني لجريح جرح الموت .

عطيل : كفاً إن كنتما تأبهان (١) للحياة .

ياجو : حسبك يا ملازم ، حسبك يا منتانو ، أنسيتمأ أين أنتمأ ، وما يجب

عليكما ؟ قيفا ، إن القائد يخاطبكما ، اخجلا وقيفا .

عطيل : كفوا هذا القتال البربري ، ومن اجترأ منكم أن يخطو خطوة

بعد لشفاء غليله فنفسه لا قيمة لها عنده وإني لموردُه حتفه لأول

حراك يبدو منه ، أسكتوا هذا الجرس الذي يفزع الجزيرة

ويوقظها في هلع . ماذا يا سادة ؟ أنت يا ياجو الأمين الذي

'شجبت' شحوب الموت من الحزن ، تكلم من البساديء بهذه

الخصومة ؟

ياجو : ما أدري ... كانوا أصفياء منسذ هنية كأصفي ما يكون

العروسان حين يخلعان ملابسها للدخول السرير ، فما شعرت' إلا

وكانت سيارة من السماء بندرت بينها الشقاق فانتضيا سيفيها

وتهاجما يتشاخنان . كيف كان مبدأ هذه المبارزة ؟ لا أعرف .

ولكنني كنت أود' لو 'فقدت' ساقاي في حرب شريفة ولم

تحملاني إلى هذا المشهد .

عطيل : أي شيء يا ميشيل أنساك الواجب إلى هذا الحد ؟

(١) تأبهان : تكثران .

- كاسيو : عفوك يا سيدي لا أستطيع التكلم .
- عطيل : يا منتانو الشريف أنت متعود اجتناب المزرريات (١) و كنت في أيام شبابك ساكناً وقوراً يحللك الناقدون الحازمون ، فما دعائك لإلقاء هذه الشبهة على سمعتك واستبدال لقب « معربد ليلي » بما كان لك من الكرامة العزيزة ؟ أجبني .
- منتانو : أي عطيل الشريف ، لقد جرحتُ جرحاً موبقاً (٢) يجهدني معه الكلام وإن ضابطك ناجو ليقدر على إنبائك بكل ما أعلم . على أنني لم أقل الليلة ولم أفعل شيئاً ألام عليه ، إلا إذا كان رفقتنا بنفسنا في بعض الأحيان عيباً ، وكان دفاعنا حين يعتدي علينا إثماً .
- عطيل : بالله العظيم لقد أخذ دمي يملك عليّ جوانحي بدل الروية والتؤدة وطفق الرجز يتفشى بصيرتي ويدفعني إلى ما أكره ، ولو خطوط خطوة أو حرمة كت هذه الذراع لسقط خيركم يتخبّط تحت غضبي . نبتوني كيف ابتدأت هذه الخصومة القبيحة وامن آثارها ؟ فلئن كانت شقيقي وتوأمي الذي ولد ساعة مولدي ، لأقصينته عن نعمتي . يا عجباً !! أيُّدار قتال في موقع حربي لا يزال أهله في تأثر شديد وخوف مرهق ؟ ومتى ؟ في ظلام الليل . وأين ؟ بين فصيلة الحرس . إنه لأمر فظيع ، أي ياجو من بدأ هذه الخصومة ؟

(١) المزرريات : الهجلات . (٢) موبقاً : ميثاً .

منتانو : إذا لم تقل الحقيقة مراعاةً منك للصحة أو للزمالة فليست
يخفي .

ياجو : لا تخرجوني بهذه القوة ، خير لي أن يُنتزع لساني من التفوه
بلفظة تكدر ميشيل كاسيو ، غير أنني واثق من أن الذي
سأذكره لا يُضر به قليلاً . فاسمع ما جرى أيها القائد : بينما كنا
نتسامر أنا ومنتانو دخل رجل يستغيث وكاسيو متبعاً إياه يريد
ضربه بسيفه المسلول فتصدى هذا الشريف لكاسيو يلتمس منه
المفوه عنه ، وتبعته أنا ذلك الرجل المستصرخ لمنعه من احتياج
الأهلين بصيحاته كما فعل ، على أن الرجل كان أسرع مني عدواً
فما لبثت أنت تركته ورجعت ، فإذا أنا بتصلتين تتلاقيان
وتصليان وبكاسيو يقذع^(١) بالفاظه قذعاً ما سمعته منه قبل
الآن ، على أنني ما كدت أبلغها حتى كنا قد تركنا النصلتين
وشرعنا يتراكلان^(٢) ، ولا أقدر أن أقول شيئاً آخر عن هذه
المسألة غير أن الرجال إنما هم رجال وخيرهم قد يسهو ويخطيء ،
فلئن كان كاسيو قد أهان هذا الرجل الكريم ، ومع الغضب ربما
ضرب الإنسان أصدق الناس مودة له ، فلا بد أن كاسيو قد لقي
من الرجل الذي هرب إهانة بشعة ذهبت بصبره .

عطيل : يا ياجو إن نزامتك وصادقتك تحمّلانك على تلطيف الأمر
ليكون أقل وقرأ على كاسيو ، ولكن اعلم يا كاسيو أنني احبك
وأنتك لن تكون ضابطي أبد الدهر .

(١) يقذع : يشتم . (٢) يتراكلان : يتضاربان بالأرجل .

(تدخل ديدمونه وحاشيتها)

عطيل : انظروا إن حبيبي وخالبة لبي قد استيقظت بسبب الجلبة .
(إلى كاسيو) سأجعلك عبرة وعظة .

ديدمونه : ما الذي حدث ؟

عطيل : كل شيء على ما يرام الآن يا حبيبي ، عودي إلى سريرك (إلى
منتانو) سأكون بنفسي آسي^(١) جراحك ، انقلوه (ينقل
منتانو) إذهب يا ياجو وطف المدينة وأمن الخائفين . تعالي
يا ديدمونه . من حياة العسكري أن يستيقظ من منامه على
جلبة القتال . (يخرجون إلا كاسيو وياجو)

ياجو : ما بالك ؟ أنت جريح يا ملازم ؟

كاسيو : نعم وبغير شفاء .

ياجو : لا سمح الله .

كاسيو : سمعتي سمعتي ، فقد الجزء الخالد مني ، وبقيت البقية الحيوانية .
سمعتي ، ياجو ، سمعتي أ

ياجو : ظننت وAIM نزاھتي ، أنك أصبت بجرح بسدني ، ذلك أشد

خطراً من الإصابة بجرح في السمعة ، وما السمعة على الحقيقة إلا
أكذوبة باطلة تنال في الأكثر بغير جدارة وتفقد لغير ما سبب .
فلست بفاقد سمعتك إلا إذا أذعت أنك فقدتها . تنبه يا صاحبي .
لا تزال لك وسيلة لاستعادة رضا القائد فقد عزلك في ساعة
غضب لا عن سياسة ولا عن مكر بل كما يفعل الذي يضرب

(١) الآسي : الطبيب المداوي للجراح .

كلبه ولا يذنب ، ليرهب أسداً هَصوراً . استعطفه عليك
ينعطف .

كاسيو : افضل أن ألتمس من الناس تحقيري على خديعة مثل هذا القائد
العظيم بأن أعرض عليه أن يستعيد ضابطاً نَزَقاً سكيراً قليل
الاحتراس في هذا الحد .

ياجو : أنت وكل حيّ عرضة للسكر في ساعة ما أيها الصديق . خذ عني
الآن ما ينبغي لك عمله . إن امرأة قائدنا هي التي أصبحت
قائدنا ... لأنه قد انصرف كل الانصراف إلى تمتيع نظره وقلبه
بمحاسنها ومكارم أخلاقها ... فاذهب اليها وأقررْ بذنبك
صريحاً والتمس منها بإلحاح وإلحاف أن تعينك على العود إلى
منصبك فلا تلبث أن تشفع لك عنده إذ أن سماحة فطرتها تجد
من الرذيلة عدم الإجابة إلى أكثر مما يطلب منها .

كاسيو : أسديتني خير نصيحة .

ياجو : كن واثقاً أنها نصيحة خلوص وحسن نيّة .

كاسيو : أنا واثق مما تقول وسأذهب من بكرة غد إلى ديدمونه الطاهرة
وأبتهل اليها أن تتولى أمري فإذا لم يسعدني الحظ مع وساطتها
فقدتُ كل رجاء .

ياجو : إنك لفي المنهاج السويّ . طاب ليلك أيها الملازم . يجب أن
أسهر في العسس .

كاسيو : طاب ليلك أيها الصفي ياجو .

ياجو : هل لجريء أن يزعم أنني أمكر مكرأ سيئاً حين أنصح نصيحة

كهنده خالصة صريحة سهلة التحقيق لا وسيلة غيرها لكسر شرمة
المغربي واستعطافه ؟ أو هل أكون غداً رأ حيث أشير على كاسيو
بالخطبة التي توصله توتاً إلى فائدته ؟ إيه يا آلهة سقر متى أراد
الزبانية^(١) الإيعاز بأشنع الخطايا صورها في المبدأ بأبدع الصور
الساوية كما أفعل الآن ، لأنه بينما ذلك الأبله السليم الطوية يسعى
لدى ديدمونه لاستعادة مكانته ، وبينما هي تشفع له عند المغربي
بقوة ، أفس أنا في أذن عطيل 'سم' الريب في حقها بما أدخله
على قلبه من أن رقتها لكاسيو ليست عن مبرة ولكن عن
شغف أثم . بقدر ما تزداد إلحاحاً في التماس الرأفة له يزداد
تأييدها لسوء الظن بها عند المغربي ، وهكذا آخذها في فتح
فضيلتها وأستخرج من مروءتها الفخ الذي أوقعهم فيه جميعاً .

(يخرج)

(١) الزبانية : الشياطين . أشخاص مهمتهم دفع أهل النار إليها .

الفصل الثالث

المشهد الأول

تجسأ القصر

(يدخل كاسيو وفصيلة موسيقارين)

كاسيو : يا أساتذتي اضرىوا هنا ، وسأ كافنكم على ما تجيدون . اضرىوا
لحناً مختصراً لتنهئة القائد بيومه السعيد .

(تعزف الموسيقى)

(يدخل المضحك)

المضحك : مهلاً يا أستاذتي . أذهبت معازفكم^(١) إلى نابلي^(٢) فعدت منها
بهذه الغنسة الأنفية ؟

موسيقاي أول : ما قصدك يا سيدي ؟ ما القصد ؟

المضحك : هل هذه الآلات آلات هوائية ؟

(١) المازف : آلات النفع الموسيقية . (٢) نابولي : بلدة في إيطاليا .

موسيقى أول : طبعاً يا سيدي .
المضحك : هذه نقود أرسلها القائد ويرغب اليكم وُدّيّاً أن تكفّوا هذه
الغوغاء .

موسيقى أول : ستمتنع يا سيدي .
المضحك : إن كنتم تعرفون أنغاماً لا تُسمَع فاضربوها . أما الموسيقى التي
تُسمَع فالقائد غير مُولع بها .

موسيقى أول : ليست عندنا الموسيقى التي تشتهيها .
المضحك : إذن ضعوا زماميركم في أكياسكم وانطلقوا لأنني ذاهب . تلاشوا
في الهواء . تواروا . (يخرج الموسيقيون)

كاسيو : أرجو أن تحتبَس مهاتراتك ^(١) عني . ههذه قطعة ذهب ولي
اليك رغبة : متى استيقظت السيدة التي تخدم امرأة القائد فقل
لها إن رجلاً يدعى كاسيو يريد أن تمنعه مقابلتها هنيئة ...
أفعل ؟

المضحك : لم يمضِ إلا دقيقة منذ هبطت عن سريرها ، وسألني اليها كلمة
لتهبط إلى هذا المكان إن أرادت .

كاسيو : إفعل ذلك يا صاحبي العزيز .

(يخرج المضحك)

(يدخل ياجو)

كاسيو : ياجو ، جئت في ميقات الحاجة اليك .

ياجو : يلوح لي أنك لم تم .

(١) المهازات : السقط من الكلام والخطأ فيه .

- كاسيو : طلع النهار قبل أن نفترق وقد اجترأت أن ارسل في طلب امرأتك رجاء أن تلتمس لي موعداً من الفاضلة ديدمونه .
- ياجو : سأبعثها اليك حالاً ، وأحاول بقاء المغربي بحيث تملك الوقت الكافي للتكلم فيما لك من الشأن .
- كاسيو : شكراً لك جزيلاً (يخرج ياجو) لم أعرف قط فيورنتيا أمضى في الخير وأشدّ وفاءً . (تدخل إميليا)
- إميليا : صبحك الله بخير أيها الملازم الكريم . أنا حزينة لما أحزنك ، ولكن الأمر سيُصلح كما أرجو ، والقائد وامرأته يتباحثان في هذه المسألة . هي تدافع عنك بقوة ، وهو يجيب أن الرجل الذي جرحته عسالي السمعة في قبرس وله قُربى موشوجة^(١) الأعراق بين كبراء الجزيرة فكان لا مندوحة^(٢) له من عزلك أو يخطيء الرأي ، وإنه ما زال يحبك ولا يحتاج من الوصاة بك إلا ما يوحيه وُدّه ، فهو سيفتم أول فرصة تسنح لردك إلى مكانك .
- كاسيو : مع هذا أرجو منك إذا كان في الإمكان أن تهبني لي اجتماعاً بديدمونه اكلمها فيه على حدة .
- إميليا : تفضل واتبعني أجعلك في موضع تخاطبها فيه براحة وصراحة .
- كاسيو : هذه منّة عظيمة .

(١) موشوجة : مشبكة . (٢) لا مندوحة : لا غنى .

المشهد الثاني

مسكن في القصر

(يدخل عطيل وياجو ووجهاء)

- عطيل : إدفع هذه الرسائل إلى الملاح ياجو وليُحْمَلْ إلى مجلس الأعيان سلامي . بعد هذا أنا ذاهب للتنزه ومشاهدة أعمال التحصين ، فمتى عدتْ فالقني هناك .
- ياجو : سأفعل يا سيدي الكريم .
- عطيل : والآن أيها السادة أنمضي لتري المعامل ؟
- الوجهاء : ممعاً وطاعة . (يخرجون)

المشهد الثالث

في القصر

(تدخل ديدمونه وكاسيو وإميليا)

- ديدمونه : إثقْ يا عزيزي كاسيو أنني سأبذل جهدي لخدمتك .
- إميليا : افعلي مشكورة يا سيدي فإن زوجي شديد التآلم لهذا المصاب كأنه مصابه .

ديدمونه : نعم الفتى الوفي ! لا ترتب يا كاسيو أنني سأعيد الصداقة بينك وبين قريني كما كانت قبلاً .

كاسيو : يا سيدي الكريمة مهما ينته اليه أمر ميشيل كاسيو فإنه إلى آخر الدهر خادمك الأمين .

ديدمونه : أعتقد هذا وأحمدك عليه . أنت تحب مولاي وتعرفه من عهد طويل ، فلا تحسب أنه يدعك مقصياً عنه إلا مهلة ما تقتضيه السياسة .

كاسيو : أجل يا سيدي ولكن هذه السياسة قد يطول أجلها ، وقد يتخللها من المعاذير التافهة الأسباب والارتباك التي يجيء بها تحول الأحوال مدة انصرافي عن مناصبي وحاول غيري محلي ، ما ينسي قائدي 'خلوص حيي له وسوابق خدمتي' .

ديدمونه : لا تداخلك هذه الحشية . أضمن لك منصبك بشهادة إميليا وأيقن أنني متى وعدت وعداً وُدِّيّاً وفتيت به إلى آخر حرف منه . سأظل 'مليحة على مولاي مكررة لديه التماسي حتى أردّه عن جماسحه ، بل سأجعل فراشه شبه مدرسة ، ومائدته شبه خسلوة للاعتراف ، وأدخل في كل مشاغله طلب كاسيو ، ذلك لأن محاميك يؤثر الموت على ترك قضيتك .

إميليا : سيدي هذا سيدي قادماً .

كاسيو : سيدي إذنك بالانصراف .

ديدمونه : امكث واسمع ما أقوله له .

كاسيو : الآن لا ، يا سيدي ، لأنني في أشد الانزعاج وغير كفء لخدمة مصلحتي .

- ديدمونه : إفعل ما تستصوب . (يدخل عطيل وياجو)
- ياجو : أفّ ما أحب هذا .
- عطيل : ماذا تقول ؟
- ياجو : لا شيء يا سيدي ... أو . لا شيء .
- عطيل : ألم يكن كاسيو هذا الذي فارق امرأتي الساعة ؟
- ياجو : كاسيو يا سيدي ؟ يقيناً لا ، ما أظن ... لو كان هو ما فرّ فرار
المجرم حين رآك مقبلاً .
- عطيل : أظنه إياه .
- ديدمونه : كنت يا سيدي أخاطب ذا حاجة . رجلاً حزيناً في العناية
لانصرافك عنه .
- عطيل : من تعنين ؟
- ديدمونه : ملازمك كاسيو ، أي سيدي لئن كانت لي حظوة في عينيك
وقدرة على استعطافك إن رجائي أن تتفضل عليه وتصفح عنه
لأنه رجل صادق الحب لك . وإنما أخطأ عن جهل لا عن عمد ،
وإلا خابت فراستي في وجوه الأوفياء . أبتهل أن تعيده إلى
منصبه .
- عطيل : أهو الذي كان منصرفاً من هنا ؟
- ديدمونه : نعم هو . وكانت كئيماً كآبة تركت في نفسي أثراً من حزنه
وشطراً من ألمه . يا حبيبي ناشدتك غرامنا إلا ما أرجعته .
- عطيل : الآن لا ، يا ديدمونتتي الرقيقة ، ولكن في وقت آخر .
- ديدمونه : أيعود هذا الوقت الآخر قريباً ؟

عطيل : أقرب ما يكون إكراماً لك يا عزيزتي .

ديدمونه : أعلى العشاء الليلة ؟

عطيل : الليلة ؟ لا .

ديدمونه : أغداً الظهر ؟

عطيل : لن أتفدى في البيت غداً لأنني سألحق بالضباط إلى القلعة .

ديدمونه : إذن غداً مساءً أو الثلاثاء ظهراً أو الأربعاء صباحاً ... أتوسل

اليك أن تعيّن الميعات ولا يزد على ثلاثة أيام ... إنه ودمتي

لتادم على خطيئته وهي في رأي الأكثرين ليست من الخطايا التي

تستأزم أدنى ملام إلا إذا صدقت قاعدة القائلين بأنه يجب في

الحرب تأديب الأمثكين ليعتبر سوامهم بهم . متى يعود ؟ قل لي

يا عطيل ، إنني لأسائل ضميري عن شيء تطلبه مني ولا أجيئك

اليه أو أتردد في الإجابة . عجباً ! أميشيل كاسيو الذي كان

أمين سرنا في غرامنا وكان يدافع لديّ عنك حين أذكرك بغير

ما يعجبه ، ينبغي لي أن أشفع له بكل هذا الإلحاف لتصفح

عنه ... ما كان أسرعني لإجابتك إلى أقصى الرغائب لو بدت

لي منك إشارة .

عطيل : كفى وحياتك ... ليعد حين يشاء ... لا أمنع لك سؤلاً .

ديدمونه : على أن عوّده لا يُعدّ إحساناً مذكوراً . سألتك إياه كما سألك

أن تلبس قفازيك^(١) أو تتفدى بطعام أو تستدفيء من برد أو

(١) القفاز : ما يكسى به الكفان لاتقاء البرد .

- تفعل أي فعل يفيد صحتك ، لكن علمت الآن أنني إذا جدت لي عندك أمنية كانت تلك الأمنية عظيمة الشأن صعبة التحقيق .
- عطيل : لن أرد لك أمنية فكوني متفضلة وامنحيني هنية أخلو فيها بنفسى .
- ديدمونه : أكنت رادة لك أمراً . لا . . . إلى الملتقى يا مولاي .
- عطيل : سأوافيك من غير إبطاء .
- ديدمونه : تعالي يا إميليا ، إفعل ما يوحىه اليك الضمير . مها تشأ فإننى خاضعة .
- عطيل : يا لها من شاطرة آخذة بالألباب . احبك ولو سامنى حبك عذاب الآخرة . فإذا انصرفت عن هواك يوماً . فهناك تعاودنى الفوضى والظلمات .
- ياجو : أي مولاي الشريف .
- عطيل : ماذا تقول يا ياجو ؟
- ياجو : أكان ميشيل كاسيو يعرف غرامكما ؟
- عطيل : عرفه من مبدئه إلى نهايته . لم هذا السؤال ؟
- ياجو : إرضاءً لفكري لا لشيء آخر ذي بال .
- عطيل : وما فكرك ؟
- ياجو : كنت لا أتخيل أنه يعرف ما دار بينكما .
- عطيل : بلى وكان يتوسط بيننا أحياناً .
- ياجو : أحقاً ؟
- عطيل : أحقاً ؟ نعم حقاً . ما ترى تحت هذا ؟ أليس وفيّاً ؟

- ياجو : وفيّ يا مولاي .
- عطيل : وفيّ . بل وفيّ .
- ياجو : وفيّ يا سيدي إلى غاية ما أعلمه .
- عطيل : صرّح عما في ضميرك .
- ياجو : عما في ضميري يا مولاي ؟
- عطيل : عما في ضميري يا مولاي ، بالله إنه ليجيئني كرجع الصدى كأن في طويته شيئاً أبشع من أن يكشف عنه النقاب . . تضرر أمراً ولا تبديه . ولقد سمعتك تقول : « أفّ ما أحب هذا » عندما كان كاسيو يفارق امرأتي . ثم لما أخبرتك أنه كان مُطليماً على أسرار غرامنا سبق لسانك فكرك وقلت : « أحقاً » ، ثم انقبضت أهداب عينيك وتضامنت كحوافي الكيس كأنك أردت أن تحسبُو في دماغك سرّاً رهيباً . إن كنت لي مُحبباً فكاشفني بما تضرر .
- ياجو : مولاي تعلم أنني لك مُحبب .
- عطيل : أعتقد وُدّك وبقدر ما أعرف من أنك مغمم ولاء ونزاهة وأنتك تترن كلماتك قبل النطق بها فتوقفاتك في الحديث أشد موقفاً مني لأن أمثال هذه المحاذرات إنما تكون مراوغات مألوفة عند اللئيم الخبيث الكذوب كما أنها تكون عند الرجل الصالح مكاشفات مبرقة تخرج من صدر لم يملك تأثيره .
- ياجو : أجرؤ على الإقسام بأن ميشيل كاسيو وفيّ كما أعتقد .
- عطيل : وكذلك أعتقده .

ياجو : كان يجب أن يكون الناس كما تنبىء عنهم ظواهرهم . بل ليت
الذي خلقهم لم يجعل للمنافقين أشباهاً .

عطيل : يقين أن الرجال يجب أن يكونوا كما تنبىء عنهم ظواهرهم .
ياجو : ولهذا أظن أن كاسيو صادق الولاء .

عطيل : لا . عندك هنا أكثر مما تبوح به . فرجائي أن تظهر لي خواطرك
كما تجملها في خفائك وأن تلبس القبيحة منها أقبح الألفاظ .

ياجو : عفوك يا سيدي الكريم أنا مكلف كل عمل قوم تقتضيه الطاعة
ولكنني غير مكلف ما اعفي منه الأرقاء . أإظهاراً لضائري وقد
يكون منها ما هو دنيء ومنها ما هو زور ؟ .. أي قصد لا
تدخله بعض المكارة في بعض الآونة ؟ وهل في الناس من طهر
قلبه حتى لا تداخله الريب المستهجنة وتعمد فيه أحياناً محاكمتها
القانونية بجانب الأفكار النقية ؟

عطيل : ياجو إذا ظننت أن صديقك مهان ولم تطلعه على ما في طويتك
فأنت من المتآمرين عليه .

ياجو : قد يكون ظني إثماً وأقرُّ بين يديك أن من طبعني الرديئة إساءة
الظن واختلاق خطايا قد لا تكون... فأتضرع اليك أن تصون
حكمتك عن الأخذ بمزاعم رجل كثير الخطل في تصوُّره وأن لا
تبني صرحاً من الأوهام المزعجة على أساس غير متين من ملاحظاته
الناقصة فلا فائدة لك من جهة اطمئنانك وصفائك ولا لي من
حيث شربي الرجولي ونزاهتي وعقلي أن تطلع على خفايا فكري .
عطيل : ما مرادك من هذا ؟

(٦)

ياجو : حسن السمعة للرجل والمرأة يا سيدي العزيز أثن جوهرة من
حلي النفس . من يسرق كيس تقودي يسرق شيئاً زرعياً كان لي
وأصبح له وكانت قبلنا لألوف آخرين ، أما الذي يسرق حسن
سمعتي فمختلس شيئاً لا يغنيه ويعملني فقيراً جَهْدَ الفقر .

عطيل : واه السماء لأعرفن أفكارك .

ياجو : لن تعرفها ولو كان قلبي في يدك فهل تصل اليها وذلك القلب في
حراستي ؟

عطيل : آها .

ياجو : أي مولاي احذر الغيرة . تلك الخليفة الشوها ذات العيون
الخطراء التي تسخر مما تتغذى به من لحوم الناس . الرجل الذي
يُثلم^(١) عرضه فيعرف مصابه ويكره جالبه عليه سعيد ، سعيد
يحانب ذلك الذي يقضي الدقائق الجهنمية شغيفاً ، إلا أنه
مستريب . عاشقاً أشدّ العشق ، ولكن تساوره الشكوك .

عطيل : يا للشقاء !

ياجو : الفقر مع القناعة غنيّ بلا جاء عريض . أما النعم التي لا تحصى
فتكون فقراً عقيماً عُقِمَ الشتاء البارد للذي يخشى أبدأ أن
يصبح ممسراً . اللهم يا ذا المراحم أعف من الغيرة نفوس أمثالي .

عطيل : لمّ لمّ كل هذا ؟ أتظن أنني سأعيش هذه العيشة مغيّراً ظنوني كلما
تغيّر هلال . كلا . متى نفدّ الريب ثبتت النفس على حالة معه .
تبدّل مني بتيس فطبيع يوم أدع نفسي بين أيدي الشبه التي

(١) يثلم : يطمن .

تحدثها كل دسيسة . أنا لا 'تستغز' غيرتي بأن يُقال لي إن امرأتي جميلة وإنها لطيفة المحاضرة وإنها تحب المعاشرة وإنها طليقة النفس في أحاديثها وتغني وتلمب وتحسن الرقص . كل هذه الأفعال تكون فاضلة متى كانت المرأة فاضلة . ثم إنني من جهة أخرى لا أخشى أدنى خشية منها ولا يخالجنني أسير ظن سييء بها من جهة أنني فاقد الهاسن لأنها إنما اختارتني ولها عينان مبصرتان نظرتني بها . لا لا ... وما أنا بمرتاب حتى أرى فإذا ارتبنتُ فحتمٌ أن أثبت مما يداخطني من الظنون وإذا وضح لي البرهان بعد ذلك فيومئذ فراقاً خالداً إما للحب وإما للغيرة .

ياجو : يسرني عزمك هذا بأنه يمكنني الآن من توكيد حبي لك وتجلستي . وعليه يقتضيني الواجب أن أقدم اليك نصيحة - وبعدها يجيء وقت البرهان - راقب جيداً ما يكون من امرأتك ومن كاسيو ... إستعمل عينيك من غير إساءة ظن ، إذ لا أحب أن تنخدع فطرتك الشريفة الحرة بسماحتها . أنا علم بطبائع بلادي ، والنساء في البندقية يظهرن من أحوالهن على مشهد من الملأ ما لا يجرؤن أن يظهرنه لبعولتهن ، فالذمة عندهن لا أن يمتنعن عما يشتهين ولكن أن يخفينه .

عطيل : أجد ما تقول ؟

ياجو : غشت أباهما بتزواجها منك ولم تكن أشد هياماً بك منها حين كانت ترتجف مهابة من نظراتك .

عطيل : هو حقيقة ما بدا لي منها .

ياجو : فعليك والحالة هذه أن تستتبع القياس العقلي : إن التي استطاعت وهي في أنضر الصبا أن تخفي ما بها عن أبيها إخفاءً تركت معه عينيه أشد إقفالاً من لباب السنديانة ... التي غافلته حتى اتهم بها السحر ... صفحاً يا سيدي ... إني للوم وإياك أستغفر عن قرط هذا الخلوص في ولائي لك .

عطيل : لن أنسى لك هذه المنّة مدى الدهر .

ياجو : ألمح أن كلماتي قد شغلت من بالك .

عطيل : البتة ...

ياجو : بل أجد أنها نالت منك وأحزنتك بغير ما قصدته منها وإنما

أنطقني بالولاء، لكن أراك واجماً فيتعين عليّ أن ألتصم منك بما لا تعطي تلك الكلمات معنى أبعد ونتيجة أوسع مما يجرّد الريب

عطيل : سأفعل .

ياجو : إذا تقادمت عليّ التأويل يا سيدي أصابت أقوالي من المرمى ما لا أحبه . إن كاسيو لصديقي . أي مولاي أراك مضطرباً .

عطيل : بعض الشيء . أعتقد أن ديدمونه عفيفة على كل حال .

ياجو : أطال الله بقاءها وهي كما تمتد وأطال بقاءك على هذا الظن الحسن بها .

عطيل : غير أن الطيبة قد تضلّ السبيل .

ياجو : وهذا هو محور المسألة وبناءً عليه أزداد جرأة معك فأقول إن في امرأة تآبى من يعرض عليها من الخطّاب المتعددين الذين هم

من بلادها ولونها ومقامها مع أن الطبع يدفعها إلى إيثار أمثالهم
لدليلاً على نفس فاسدة وميول غير متناسبة وأفكار مخالفة
للفطرة. لكن ساعني فما أذكر هذا لأخصها به غير أنني أخشى
أن تراجعها نفسها مراجعة يتلخص فيها رأيها من أسباب الهيام
فتقابل بينها وبين أبناء موطنها فتندم .

عطيل : انصرف بسلام وإذا رأيت شيئاً بعد فزدني علماً ولترقب امرأتك
ما يكون . اليك عني (١) الآن .

ياجو : مولاي أستاذن . (يتظاهر بالانصراف .)

عطيل : ما الذي حملني على الزواج ؟ هذا الإنسان الوفي يرى ويعلم بلا
مراء أكثر مما يُبدي .

ياجو (متراجماً) : مولاي أود لو أن ذاتك المبعثة لا تتعمق في تنقيب هذه
المسألة بل تدع ذلك للوقت ، إذ ان الوقت يُظهر الخبآت بأدق
مهارة . ومع ذلك إذا بدا لك أن تُبقي الرجل مقصياً إلى حين ،
تستسى أن تستبطن سرائره وتعرف وسائله . ثم انظر ما إذا
كانت امرأتك تُلح لإرجاعه بشدة وحماسة . ففي هذه الأحوال
ما فيها من الأدلة . ومهما يكن مما أسلفته فاجعل أساس الرأي
أنني أفرطت في الحرص عليك إفراطاً هو من معايي ، هذا مع
التضرع إلى ذاتك المبعثة بأن تعتدّها بريئة .

عطيل : ثق أنني سأملك نفسي .

ياجو : أستاذن مرة ثانية . (ينصرف)

(١) اليك عني : إبتعد عني .

عطيل : هذا الفتى وفيّ في النهاية ويستكشف بفكر نير جميع الطوايا البشرية . لو كانت تلك المرأة بازياً^(١) عالقة به أليسا قلمي قلمي لأطلقته وتركته تحت العواصف يبحث عن صيد يتصيد به . لعلها مالت إلى غيري لأنني أسود وليس في كلامي من الرقعة والتزويق ما في كلام أولئك المتحدلقين المختلفين إلى القصور أو لأنني في أول مهبط السنين على كون هذا التقدم في السن لا يظهره شيء مني . لقد انفصلت عني وخذعتني ولم تبق لي تعزية إلا أن أبغضها - أواه من خيبة الزواج - أنتوهم أننا مالكون لهذه الخلائق الضعيفة حيث لا سلطان لنا إلا على شهواتها ؟ لأوثر أن أكون صرصاراً يعيش من أجرة السجن على ترك جزء من الشيء الذي احبه لمتاع الآخرين . ولكن من هنا تلبعث اللعنة التي يعيش فيها الكبراء فهم أسوأ حظاً من السوقة ، كأن الإصابة بالعرض قد حُتمت عليهم تحتم الموت . ويلاه من ذلك الخطب الناطح بقرنيه الذي يُقدّر علينا منذ الميلاد . هذه ديدمونه آتية . لئن كانت غادرة لقد آمنت أن السماء تسخر من نفسها . لا . لا أعتقد فيها القدر .

(تعود ديدمونه وإميليا)

ديدمونه : بحياتك ماذا يجري أيها العزيز ؟ إن ضيوفك من أعيان الجزيرة لمنتظروك والغذاء مهيباً .

(١) الباز ، طائر يصاد به .

- عطيل : علي* الملام .
ديدمونه : ما بالك تتكلم بهذا الصوت الضعيف . أتشعر بألم ؟
عطيل : عندي ألم في الجبين هنا .
ديدمونه : هكذا من فرط السهر ولكن سيزول حالا . دَعْنِي أُعْصِب
رأسك بشدة وبعد ساعة تكون معافى .
عطيل : إن منديلك لأصغر من أن يعصبني (ينزع المنسدل عن رأسه
فيسقط إلى الأرض ولا تنبه له ديدمونه) كَلِّمْ عَنكَ هَذَا .
تقدّمى وأنا متبع .
إميليا : بي حزن من ألمك (يخرج عطيل وديدمونه) إني فرحة بوجودك
هذا المنديل هو أول تذكّار أهداه المغربي اليها وزوجي الغريب
الأطوار قد لاطفني كثيراً وسألني أن أسرقه له . غير أنها تحب
هذه الهدية حباً جتاً . لأن عطيلاً أوصاها مَلِيحاً بالاحتفاظ بها
أبداءً ولهذا هي تحملها بلا انقطاع وتقبلها وتخطبها . سأستصنع
منديلاً على هذا المثال فأعطيه يا جو ليعمل به ما يشاء مما يعلمه الله
ولست أعلمه وغاية مرامي إنما هي إجابة سؤله .
(يمود يا جو)

- ياجو : ماذا وقوفك هنا منفردة ؟
إميليا : لا تمنّفتني . عندي لك شيء ما .
ياجو : شيء لي . إنه لشيء نافع .
إميليا : أواه .
ياجو : شائع أن تكون للرجل امرأة حمقاء .

- إميليا : أهذا كل ما عندك ؟ ماذا تعطيني بدلاً من هذا المنديل ؟
- ياجو : أي منديل ؟
- إميليا : أي منديل !! ذلك الذي كان أول هدية من المغربي لديدموثه والذي طالما سألتني أن أختلسه .
- ياجو : أسرقته ؟
- إميليا : لا وإنما سقط منها سهواً بحضوري فالتقطته وها هو ذا . انظر .
- ياجو : نَعَمْ البُلْبُيَّةُ أَنْتِ ! أعطيني إياه .
- إميليا : ما تنوي فعله به وقد ألححت عليّ ذلك الإلحاح باختلاسه ؟
- ياجو (مختطفاً منها المنديل) : أيعنيك هذا ؟
- إميليا : إذا لم يكن منه مقصد ذو بال فأعده إليّ فإن تلك السيدة المسكينة سيصيبها مَسٌّ إذا فقدته فلم تجده .
- ياجو : إحدري أن يُظنَّ بكِ وأنا في حاجة إليه . اذهبي ودعيني (تخرج إميليا) سأطرح هذا المنديل في مسكن كاسيو بحيث يجده . أمثال هذا الشيء التافه أفعالٌ في التغير من تحقيقات الكتب المقدسة وربما جرت هذا المنديل أمراً . المغربي آخذ بالتغير من تأثير سمي ، على أن المقاقير الخطرة هي بطبيعتها سمام أول طعمها غير كريه ، ولكن متى ابتسداً فعلها في الدم أحترقت إحراق مناجم الكبريت ... ها هو ذا قادم ، لا الخشخاش ولا غيره من المرقدات القوية يُعيد اليك بعد الآن المنام الهادي الذي كنت تنامه أمس . (يمود عطيل)
- عطيل : أها أها ، أجدها تواريني .

ياجو : حسبك يا سيدي لا تفكر في هذا بعد .
عطيل : وراء . اليك عني . لقد مددتني على 'خشب التعذيب . أقسمت
إنه خير للانسان أن 'يخدع كثيراً من أن يعلم بخديعته قليلاً .
ياجو : ما بك يا مولاي ؟

عطيل : أي 'إحساس كان يخامرني في تلك الساعات الغرامية التي خالست
بها النعم . لم أكن لأظن هذه الظنّة ولا لأخطرها على بابي
و كنت لا أتألم . في الليلة المنصرمة نمت 'مستقراً وبي فرح وسكينة
وفكر ، ولم أمتكشف على شفتيها 'قبل كاسيو . لا ينبغي إبلاغ
الذي 'سرق له شيء أنه 'سرق فإذا لم يفتقده فكأنه لم يختلس
منه شيء البتة .

ياجو : يحزنني ما أسمع .
عطيل : لكان يسرني أن يتمتع الجنود كلهم ومعهم أعوانهم الصبيان
يحسمها الرقيق على أن لا أعلم . أما الآن ففراقاً أبدياً لراحة
النفس . فراقاً للسرور . فراقاً للكاتب التي تزدهي 'خوذها
بالريش الناصع . وللحروب الكبيرة التي تجعل الطمع فضيلة .
أواه . فراقاً للخيال الصاهلة وللبوق المزّاف وللطبل الذي يشب
حرارة النفس وللمزمار الذي يصفّر في الأذن وللرايات الملكية
ولسائر الأشياء التي تنجم عنها الكبرياء والعظمة والمفاخر
الحربية .

وأنتِ أيتها الآلات المهلكة التي تحاكي بالإرغادات الحماجة
من أفواها الهدارة صبحات النشور . وداعاً وداعاً ، إن حياة
عطيل قد انتهت .

ياجو : أهذا ممكن يا مولاي ؟

عطيل : أيها النمام الواشي جئني بما يثبت أن حبيبتي مومس... لا تبطىء..
أرني بعيني وإلا (يقبض على عنقه) حلفت بقيمة النفس الخالدة
ليكونن " خيراً لك أن تكون مخلوقاً كلباً من أن تلقى هبة
رجزي (١) .

ياجو : أوصلت الامور إلى هذا الحد ؟

عطيل : أرني بعيني أو أئدني برهانك بحيث لا يفوتك ذكر جزئية أو
حالة مما يعلق به الريب وإلا فتباً لحياتك .

ياجو : أي مولاي الشريف .

عطيل : إن كنت قد فعلت لتسيء ظني بها وتمدبني فلا تُصلِّ بعد الآن
بتاتاً . اخرج عن إنسانيتك بالمرة . رايمُ فظائع فوق فظائع .
إرتكبُ جرائم تبكي منها السماء وتقضي لها الأرض عجباً لأنك
لا تستزيد في يوم الله شيئاً على ما ستنال من العقاب الذي يفوق
كل هذا .

ياجو : يا لرحمة الله . يا للسماء ساحبيني . هل أنت رجل ؟ هل لك نفس
أو إحساس ؟ أعانك الله . أقبلني من خدمتي . وئجني من حقير
أبله جعل وفاء ذنباً له . ويل لهذه الدنيا الخؤون . اعلمي
اعلمي يا دنيا ما أخيب الأمانة ، وما أغدر الاستقامة . جداً

(١) الرجز : داء يصيب الابل في أعجازها فإذا ثارت ارتعدت أفغانها ثم
انبسطت .

لك على هذه العظة وأبى الله بعهما أن احب حبيباً ما دام الولاء
جلالاً لمثل هذه المهاتات .

عطيل : لا ، أقم ، كان يجب أن تكون وفياً .

ياجو : كان يجب أن أكون حكيماً لأن الأمانة حمقاء ومضیعة
للتثوبات (١) .

عطيل : والعالمين إنني لأعتقد طهارة امرأتي ثم لأعتقد أنها غير طاهرة .
بل أظن أنك صادق ثم أظن أنك غير صادق ، لا بد لي من
برهان ، إن اسمها كان أنصع من وجه ديانا فأصبح الآن أقم
أسود كوجهي . لئن كان في الدنيا حبال . خناجر . سموم .
نار . أنهار تفرق فلست بمحتمل هذا . ما أظماني إلى ترضية
لنفسي .

ياجو : أجد يا سيدي أن الغرام يقولك (٢) وأندم على ما ألحقته بك
من الأذى . أفتريد البرهان ؟

عطيل : أريد ؟ نعم أريد .

ياجو : ذلك اليك . ولكن كيف تريد أن أجيئك بهذه الترضية يا
سيدي ؟ أتبتني مني شاهداً يقف جامداً مفتوح الفم يتقرس
فيها وهي مع الرجل ؟

عطيل : موت وهلاك . أوأه .

(١) التثوبات : الجزاء على الأعمال خيراً وشرها .

(٢) يقول : يهلك ، يأخذه من حيث لا يدري .

ياجوو : يصعب علينا فيما أظن أن نحتال عليها بحيث يؤخذان على هذا الشكل ، بل من المستحيل أن يراهما على فراش واحد غير الشيطان . وعلى هذا ... فما تكون الترضية حيث لا يحتمل أن يظهر لأحد بهذا المظهر ولو كنا أفسق من تيسين وأحمى من قردين وأشد قحّة في البهيمية من ذئبين وأقل احتراماً وحذاراً من غبيثين مخمورين . أما إذا كان الاستنتاج من وقائع واضحة الدلالة موصلة إلى أبواب الحقيقة كافياً لما تشاء من الترضية فالترضية بين يديك .

عطيل : أعطيني برهاناً حسيّاً أنها زانية .

ياجوو : 'قبحت' من خدمة . ولكن بما انني جريتُ هذا الشوط البعيد في المكاشفة متدفعاً بدافع الجنون الذي ابتلنتني به الصداقة والنزاهة فإنني لأزيدك بياناً : كنت باثماً منذ ليالٍ مع كاسيو وبي ألم في الأسنان أرقني لشدة فلسا انقضى الهزيع الأول تبينت أن كاسيو يرى حلاً . ومن الناس أفراد خلقت نفوسهم على غير الكتان فيذكرون شؤونهم في مناسمهم ... ومنهم صاحبي . سمعته يقول وهو مستغرق في رؤياه : « حبيبتى الجميلة ديدمونه لِنَكُنْ حذرَيْن ولِنُخَفِ غرامنا » ... وحينئذ يا سيدي أمسك بيدي يشدّها ويصيح : « يا لك من حسناء شهية » ثم طفقَ يلثمّني بقوة كأنه كان يودُّ أن يقتلع القبل النابتة على شفتيها من اصولها ، ثم ألقى بساقه على فخذي وتهدّ واعتنتني ثم صاح : « لعن الله الحظ الذي وهبك للمغربي » .

- عطيل : فظييع فظييع ...
- ياجو : لم يكن إلا حلاً ...
- عطيل : بلى ولكنه جاء دليلاً على شيء تمّ سابقاً ، وإنه لدليل قاطع على كونه مناماً .
- ياجو : وبه تتميز البراهين السالفة التي تظهر واهية .
- عطيل : سأمزقها تمزيقاً .
- ياجو : بلا ريب ، ولكن كن متشداً إذ أننا لم نرَ بعد أمراً تمّ وقد تكون عفيفة . بقي أن تقول لي شيئاً ذا بال . ألم ترَ قط في يد امرأتك منديلاً عليه رسم الشليك ؟
- عطيل : أعطيتها منديلاً بهذا الرسم وهو أول ما أهديته إليها .
- ياجو : أول ما أهديته إليها أو آخره لا أعلم . غير أنني رأيت منديلاً من هذا الشكل — وأعتقد أنه لها — بيد كاسيو وكان يسمح به لحيته في هذا الصباح .
- عطيل : إن كان هو منديلي ...
- ياجو : إن كان هو الذي تعنيه أو آخر ما تملكه ففيه ما ينطق بذنوبها تعزيراً لما تقدم من البراهين .
- عطيل : ويلاه . علام لا يكون لذلك الشحاذ أربعون ألفاً من الأعمار . إن عمراً واحداً دون الكفاية لانتقامي . الآن تبينت أنها في الحق زانية ... انظر يا ياجو ، هذه نفخة اصعدت بها إلى السماء ذلك الغرام الناري ، لقد ذهب . يا أيها الانتقام المدلهم ارتفع من أعماق جهنم ، ويا أيها الحب تنازل لا استبداد الغضب عن

تأجلك وعرش قلبي ، ويا أيها الصدر ارزح تحت حملك فإننا
حملك من السنة الأفاعي .

ياجو : لا بد لك من التالك .

عطيل : دماً دماً دماً .

ياجو : تحمل ، تجلد ، وربما تغير شعورك .

عطيل : ان يتغير ... أعرفت كيف تجري التيارات القارسة الجائحة من

مبعثها في بحر البُنط^(١) إلى مستقرها في بحر الظلمات لا يردّها

الجزر بل تنطلق إلى غايتها في منهساج قويم ، كذلك عزائي

النضاحة بالدماء قد اندفعت إلى الأمام بقوة ولن ترجع إلى

الوراء ، لن تعود إلى حمى ذلك الغرام الوديع ، بل تستمر في

سيرها حتى تنور جميعها في انتقام عظيم على قدر الإهانة . الآن

وَجَبَّ عَلَيَّ بِحَقِّ تِلْكَ السَّمَاءِ المَرْمَرِيَّةِ الَّتِي أَرَاهَا هُنَاكَ أَنْ تَبَيَّنَتْ

وعيدي بحيث أجعل تحقيقه خروجاً من بين مقدسة . (يحنو)

ياجو : لا تنهض (يحنو أيضاً) شهدي أيتها الأنوار التي تتأجج في فعل

سرمداً وأنت أيتها العناصر المحيطة بنا من كل جانب ، شهدي

أن ياجو يستخدم لإنصاف عطيل مما لحق به من العار عقلاه

وقلبه ويده ، ليأمر عطيل ومها يكن ما يكلفني إياه دمويًا

موبقاً فإنني لفاعله بمقيدة أنه فعل وفاء ورحمة .

عطيل : أتلقى هذا العهد الودعي منك لا بكلمات شكر فارغة بل بقبول

(١) خص هذا البحر بالذكر لأن تياراته تندفع ولا تعود .

حسن من قلبي . وإني لمتبرّ قَسَمَك حَالاً . أخبرني إلى ثلاثة أيام إن كان كاسيو قَتِيل .
ياجو : لقد هلك صاحبي وهو أمر مقضيّ بناءً على إشارتك ، ولكن لِيَتَعِيشْ هي .
عطيل : لتفترسها النار ، تلك البغي الحبيثة . لتفترسها النار . تعالْ ممي إلى مكان تنفرد فيه لأبحث عن ميتة سريعة لتلك الجنّية الجميلة . كن ملازمي منذ الساعة .

المشهد الرابع

تجسّاء القصر

(تدخل ديدمونه وإميليا والمضحك)

ديدمونه : أتعلم يا هُزأة أين مسكن كاسيو ؟
المضحك : لا أجسر أن أقول إن له مسكناً .
ديدمونه : لمَ أيها الصاحب ؟
المضحك : لأنه عسكري ومن قال لعسكري إن له مسكناً تعرّض لخنجره .
ديدمونه : غريب ! وأين يقيم ؟
المضحك : لو أخبرتك أين يقيم لأخبرتكَ أين أكذب .
ديدمونه : أيمكن تصيّد معنىً من هذه الكلمات ؟

المضحك : لا أعلم أين يقطن فإذا اخترعت له مسكناً عددتُ ذلك افتراءً خارجاً من حلقي .

ديدمونه : أتستطيع السؤال عنه ومعرفة ؟

المضحك : سأذهب بشيراً وتذكيراً في شأنه بمعنى أنني سألقي أسئلة على الناس ، ثم اجيبك بما يقولون .

ديدمونه : إبحث عنه ، 'مرءة' أنت يحضر ، قل له إنني شغمتُ فيه لدى مولاي وأرجو أن تقضي حاجته .

المضحك : فقل هذا مما قد يسهه عقل الإنسان ولهذا سأحاوله . (يخرج)

ديدمونه : أين تظنين أنني فقدتُ هذا المنديل يا إميليا ؟

إميليا : لا أدري يا سيدي .

ديدمونه : كان أهوان عليّ أن أفقد كيس نقودي ملآن قطعاً ذهبية من

فقده ، لأنه لم يكن سيدي الشريف عادل الضمير خلياً من دناءات الفيرة لكان ذلك مما يثير عنده الظنون السيئة .

إميليا : أليس غيوراً ؟

ديدمونه : من ؟.. هو ؟.. أظن الشمس التي ولد تحتها أجمت عنده أمثال هذه الوبالات .

إميليا : انظري . ها هو ذا مقبل .

ديدمونه : سأعيد الكرة عليه الآن ولست تاركه حتى يصفح عن كاسيو .
(يدخل عطيل)

ديدمونه : كيف حالك يا سيدي ؟

عطيل : على المرام يا سيدي الكريمة . ما أصعب المראהة . وكيف أنت يا ديدمونه ؟

- ديدمونه : كما تحب يا سيدي .
- عطيل : هاتي يدك . هذه اليد نضيرة يا سيدتي .
- ديدمونه : لم تشعر بعدُ بالسنين ولا بالحزن .
- عطيل : تدل على قلب غني وسمح . يدك دافئة . دافئة ونضيرة . ما أحوجها إلى الحجب في دير الصيام والصلاة وضروب كثيرة من أعمال التوبة والتقوى ذلك لأن هناك شيطاناً فتياً سريع العرق قريب الثوران . إنها ليدٌ طيبة وحررة .
- ديدمونه : يحق لك تقريظها لأنها هي التي أعطتك قلبي .
- عطيل : أكرم بها من يد . قبلاً كانت القلوب تمطي الأيدي أما الاصطلاح الحادث الآن فإن تمطي الأيدي القلوب .
- ديدمونه : لا كلام عندي في هذا المعنى فلأسألك عما أنت فاعل بوعدهك .
- عطيل : أي وعد يا دجاجتي ؟
- ديدمونه : أرسلت أستدعي كاسيو للقائك .
- عطيل : بي زكأم عنيف ثقيل يزعجني . أعيريني مندبلك .
- ديدمونه : ما هو ذا يا سيدي .
- عطيل : أريد الذي أهديته اليك .
- ديدمونه : ليس معي .
- عطيل : لا ...
- ديدمونه : لا يا سيدي .
- عطيل : هذه غلطة . إن ذلك المندبيل وهبته امرأة مصرية لأمي وكانت تلك المصرية ساحرة تكاد تعرف ضمائر الناس . قالت لأمي وهي

تدفعه اليها : إنه يجعلها محبوبة ، ويخضع لها غرام أبي ما دامت محتفظة به . فإذا فقدته أو أهدته فعين أبي تنصرف عنها انصراف بفضاء ، ونفسه تتحول إلى البحث عن سواها . ولما حضرت أمي الوفاة أعطتني وأوصتني إن تزوجت أن أمنحه لخليفتي وهكذا فعلت . فأرغب اليك في استبقائه وضيافته وأن تحببه كحديقة العين الثمينة لأنه إذا فقد كان فقده خسارة لا تستماض .

ديدمونه : أيعقل هذا ؟

عطيل : بل هو الحقيقة لأن في نسيجه سحراً ومسا نسيجه إلا عرافة شهدت دوران الشمس مثني مرة . أما الديدان التي أخرجت حريره فقد كانت مرقية أيضاً . وأما الحرير فقد صبغ بعصير الموميات مستقطراً من قلوب العذارى ومصوناً بعناية العلماء .

ديدمونه : أهذا صحيح ؟

عطيل : غاية في الصحة وعليه أوصيك بالحرص كل الحرص على ذلك المنديل .

ديدمونه : إن كان ما ذكرت فليتني لم أراه قط .

عطيل : لماذا ؟

ديدمونه : ما بالك تتكلم هكذا بمعجزة ووَجِيف^(١) .

عطيل : أفقد ؟ أأضعت ؟

ديدمونه : رعانا الله .

عطيل : ما ردك ؟

(١) وجيف : ارتجاج مع انقباض .

- ديدمونه : لم أضلِّه ولكن لو حدث ذلك ...
- عطيل : كيف تقولين ؟!
- ديدمونه : أقول لم يضع .
- عطيل : جيئني به الآن فأراه .
- ديدمونه : سأفعل يا سيدي ولكن بعد الآن . إنما هي حيلة ابتدعتها لعدم إحابة التماسي . أكرر توسلي اليك يا سيدي أن تفقر لكاسيو .
- عطيل : اذهبي وأحضري لي المنديل - تاه فكري .
- ديدمونه : دع عنك هذا إنك لن تجد رجلاً أكفاً منه .
- عطيل : المنديل ...
- ديدمونه : رجل وقف سعدة من أول عمره على صداقته لك وشاط .
- الأخطار ...
- عطيل : المنديل ...
- ديدمونه : حقيقة إنك لتلام .
- عطيل : إلى الورا .
- (يخرج)
- إميليا : أليس هذا الرجل غيوراً ؟
- ديدمونه : لم أرَ فيه قبل الآن شيئاً من مثل هذا . لا بد أن يكون في ذلك المنديل سر عجيب وإني لشقية بأنني فقدته .
- إميليا : جرت العادة أن يكون الرجال بعد سنة أو سنتين من الزواج كما هو الآن . إنهم جميعاً إلا ميمد وإن نحن جميعاً إلا غداء يا كلوننا بنهم فإذا امتلأوا تقايؤونا . أنظري هذا كاسيو وزوجي ...
- (يدخل كاسيو وياجو)

ياجو : لا وسيلة غيرها وهي وحدها التي يجب أن تنقذك . ما أسعد
طالعك ما هي ذي . إذهب إليها وألحف .

ديدمونه : واهأ با صديقي كاسيو ما عندك من النبأ عن شأنك ؟

كاسيو : أنا لا أزال على التماسي الأول يا سيدتي ، أبتهل اليك أن تشفعي
بما فطرت عليه من الرحمة لأعيش وأعود إلى صداقة الرجل الذي
أجلك كل الإجلال . ثم بوتي أن أعرف مصيري معه في أقرب
وقت ، فإذا كانت هفوتي من الهفوات التي لا تغتفرها لي خدمي
السابقة وندامتي الحاضرة وإخلاصي الذي أنوبه للمستقبل
فليكن آخر إحسان منك أن تشعريني بذلك فأقبل بما قسم لي
على كره مني وأختط لنفسي خطة أخرى تاركاً ما لي بين
أيدي الأقدار ...

ديدمونه : أواه أيها الرجل النبيل كل النبيل إن توسلاتي لم تجد إلى الآن وقد
تتكر عليّ مولاي منذ هنية حتى كان غير ما أعهدده . ولو تغير
وجهه كما تغير 'خلقه' لما عرفته - ليت الأرواح العلوية مسعداتي
يقدر ما شفعت لك عنده فلقد أصررت وكررت حتى انتهيت
إلى شفا كدره . فلا بد لك من التجلد وسأفعل لأجلك أكثر مما
أجسر على فعله لأجل نفسي فليكفك هذا .

ياجو : أمولاي غضبان ؟

ديدمونه : قد خرج الآن من هنا وهو بلا ريب في اضطراب غريب .

ياجو : لم أعهدده يفضب . رأيتُه والمدفع يطير بكتائبه مبعثرة في الهواء
يهجم هجمة الشيطان وينقذ أخاه بيده ... ثم هو الآن يفضب .

لا بدّ من أمر ذي بال . سأذهب للقائه . إنه إذا حنق فليسبب
خطير .

ديدمونه : إفعل بتوسل مني (يخرج يا جو) لا بدّ أن يكون هناك معضلة
من معضلات الحكومة أو أمر وفدّ من البندقية أو مؤامرة علم
بتدبيرها في قبرس قد غشت عليه صفاء فكره . وفي أمثال
هذه الأحوال تضطر النفوس الكبيرة الغايات أن تشتغل بالهنات
الصغائر . مثلنا بذلك كمثل الذي تؤلمه إصبعه فيجد شعور الألم
في سائر جوارحه السليمة . على أن الرجال ليسوا بآلهة وما علينا
أن نكلفهم على الدوام مجاملتنا كما يفعلون أيام العرس . عنفني
بشدة يا إميليا لأنني كنت شارعة في التظلم من قسوته لدى محكمة
ضميري ، أما الآن فأرى أنني رَشَوْتُ الشاهد وأني ألقيت
التهمة بغير صواب .

إميليا : لنضرعُ إلى الله أن يكون ما به أمراً من أمور الحكومة كما
فكرت لا جنة من جنات الغيرة .

ديدمونه : ويحيي لم أفعل قط ما يستفز غيرة .

إميليا : غير أن النفوس الغيورة لا تهتم بالبراءة ولا تجيئها في الغالب
نوباتها عن سبب بل تغار لأنها تغار وما الغيرة إلا بهيمة شاذة تلتحق
من نفسها وتتولد من نفسها .

ديدمونه : وقي الله قلب عظيم من تلك البهيمة .

إميليا : آمين يا سيدي .

ديدمونه : سأذهب لأستقدمه . كاسيو تنزّه قليلاً يقرب هذا المكان فإذا

وجدته في ساعة رضى دافعت عنك وبذلت مجهودي في كسب
دعواك .

كاسيو : أشكر مرحمتك بكل خضوع . (تخرج ديدمونه وإميليا)
(تدخل بينكا)

بينكا : حياك الله ورعاك يا كاسيو .

كاسيو : ما تصنعين خارج البيت ؟ كيف حالك يا عزيزتي الجميلة جداً ؟
تالله لقد كنت على عزم التوجه إليك ...

بينكا : أنا كنت ذاهبة إلى منزلك . أيمضي اسبوع ولا تزور ؟ سبعة أيام
ومسبع ليال ، مائة وثمان وستون ساعة . على حين أن ساعات
هجر المشيق أشد تبريحاً من ساعات التوقيت بائة وستين مرة .
يا لله ما أقبحها ساماً وضجراً .

كاسيو : سامحيني يا بينكا ، 'نكبت' بما أقصاني عنك في هذه الأيام كلها ...
ولكنني سأعوض ما فات بما هو آت . أي عزيزتي الكريمة بينكا ،
انسخي لي مثلاً من هذا المنديل .

بينكا : من أين جاءك هذا يا كاسيو؟ لا بد أنه هدية من صديقة جديدة ...
لقد فهمت سبب ذلك الجفاء . سنرى سنرى .

كاسيو : تخلطين يا امرأة . ألقِ بظنونك البشعة في وجه الشيطان الذي
أوحاها إليك . أتغيرين من تخمينك أن لي رقيقة جديدة .
كذبك وهك وعهد الوفاء .

بينكا : إذن من أين جاء هذا ؟

كاسيو : لا أعلم ، وجدته في غرفتي وأحببت صنعه كثيراً ، لذلك سألتك

صنع غيره على مثاله قبل أن يطلبه أربابه ، أرجو منك وأتوسل
إليك أن تنقلي لي هذا المثال . والآن دعيني .

بينكا : لماذا أدعك ؟

كاسيو : أترقب القائد هنا وليس من مصلحتي ولا أمنيقي أن يراني مع
امرأة .

بينكا : ولم هذا التحاشي ؟

كاسيو : ليس من عدم الحب .

بينكا : بل من كونك لا تحب « إياي » . تكرم علي واصحبني قليلاً

وأجيني : أتورني الليلة أم لا ؟

كاسيو : لا أستطيع مرافقتك إلا بعض الخطى إذ لا محيص لي من انتظار

القائد هنا . لكن سأراك قريباً .

بينكا : لا بأس ، إني أدع التشديد الآن مراعاةً للحالة . (يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

قبرس - أمام القصر

(يدخل عطيل وياجو)

- ياجو : أيداخلك مثل هذا الظن ؟
عطيل : مثل هذا الظن ؟
ياجو : لأجل قبة اختلست^(١) على انفراد .
عطيل : قبة غير جائزة ...
ياجو : أو لأجل قضاء ساعة أو أكثر مع المحبوب في سرير واحد .
عطيل : أيتعريان ويدخلان السرير بدون قصد أثم . ياجو هذه مداجاة^(١) للشيطان . إن الذين يخلون هذه الخلوة لو طهرت نياتهم لامتعنهم إبليس وامتحنوا الله .

(١) مداجاة : مراعاة .

ياجوو إذا لم يفعلوا شيئاً فهي هفوة عرضية ، أما إذا أعطيت امرأتى منديلاً ...

عطيل : فما يكون ؟

ياجوو : يكون عندئذ ملكاً لها ولها فيها أعتقد أن تمنحه لمن تشاء .

عطيل : هي أيضاً أمينة على عرضها أتستطيع أن تهبه ؟

ياجوو : عرضها لا يُرى ، وكثيراً ما يحدث أن الذين لا عرض لهم هم بالذات أصحاب العريض . أما المنديل ...

عطيل : ياالله العظيم لقد كنت أود لو أنساء ... أتمم جلتك ... لكن ذكره يعود إلى رأسي كما يعود إلى البيت المتداعي غراب البين ينطق بالويلات ... كنت تقول إن المنديل وجد معه !؟

ياجوو : فدليل أي شيء هو ؟

عطيل : كيفما كاذت دلالاته فما هي بالشيء النظيف .

ياجوو : إذن ما كنت تصنع لو أبلغتك أنني رأيتك يسلب عرضك أو أنني سمعته يقول كيت وكيت كما يفعل بعض الشذاذ الذين إذا قضوا لبانتهم من معشوقتهم سواء بالخافاتهم المزعجة أم بتشخيصاتهم المؤثرة ، لم يلكوا الكتان .

عطيل : وما الذي قاله ؟

ياجوو : إنه ... فعل ما لست أتذكر ...

عطيل : أي شيء أي شيء ؟؟

ياجوو : إنه مات ...

عطيل : معها ؟

- ياجو : معها ... بقربها ... كما تشاء !
- عطيل : معها ... بقربها ... خطب رائع . المنديل ... الاقرارات ... المنديل ... ليعترف ثم ليشنقُ جزاءً وفاقاً بل ليشنقُ أولاً ثم ليعترف ... أرتجف لمجرد تصوري تلك الخيانة . ولولا أنها وقعت وأسرتها إلى الطبيعة لما بلغ الاضطراب مني هذا المبلغ . ليس الذي يقلبني عالياً إلى سافل كلمات فقط ... لعنة الله عليها ... أنفاهما ... آذانها ... شفاهها ... أفي التصور ما كان ... ليعترف - المنديل - يا للشيطان . (يغمى عليه)
- ياجو : فعلك يا طي فعلك . الحقى المتصدقون يؤخذون هكذا . وهكذا تقع السعامة على كثيرات من الخواتين^(١) العفيفات - صحواً سيدي ... سيدي ... صحواً عطيل . (يدخل كاسيو)
- ياجو : كاسيو ؟!
- كاسيو : ما أرى ؟
- ياجو : أغمي على مولاي ... أمس مرة وهذه الثانية .
- كاسيو : أفرك صدغيه .
- ياجو : لا ... قف ... لا ينبغي تحريكه في الإغماء وإلا أزيد فيه وهباً هبة جنون وحشي ... أنظر . يضطرب ... تغيث قليلاً . سيرجع إلى حسه وعندما ينصرف أريد أن أقاوضك في أمر ذي بال (يخرج كاسيو) كيف أنت الآن أيها القائد ألم تجرح في رأسك ؟

(١) الخواتين : النساء الشريفات .

عطيل : تسخر مني ؟
ياجو : أنا أسخر منك ؟ لا والسماء ... عماك أن تتحمل قسمتك تحمل الرجال .

عطيل : رجل ذو قرنين لا يكون إلا خلقاً مخطأً أو حيواناً .
ياجو : يوجد إذن في مدينة مأهولة كثير من الخلائق المخطأة . وكثير من البهائم في زي الحضارة .

عطيل : هل أقرّ بما فعل ؟
ياجو : سيدي الكريم كن رجلاً ، تصور أن كل ذي لحية مشدودة إلى امرأة تستطيع أن يحمل حملك . من الناس في هذه الساعة ألوف ألوف يبيتون ليلهم في مضاجع قاسمتهم إياها الجاهير ويزعمون أنها لهم خاصة أما أنت فحفظك ما زال أصلح من حظوظ هؤلاء ... لكن أجد من جهة أخرى أن من سخريات جهنم ومبالغات الرجيم في الرزايا عنائك لامرأة فاسقة في فراش شرعي وتحسبها طاهرة ... لا ... خير لك ثم خير لك أن تعرف كل شيء فإنني متى عرفت ما أنا عرفت أيضاً مصيري .
عطيل : أنت عاقل بلا مرأه .

ياجو : إلزم السكينة قليلاً واكتفِ بالإصغاء متجلداً أسمعتك برهساناً جديداً ... جاء كاسيو إذ كان مغمى عليك من الألم ، وهو ما لا يليق برجل مثلك ، فأبعدته معتذراً بملثتك وأوصيته أن يعود لمخاطبتي بعد منية . فالتمس لك هنا مكاناً تجثم فيه والمخ إشارات الهزء والاحتقار التي تبدو على وجهه حين أكله عنها ،

وسأحتال عليه بحيث يقصُّ عليّ قصته مع امرأتك ويقول أين ،
وكيف ، ومتى ، وكم مرة اجتمع بها أو ينوي أن يجتمع ؟ تنبّه .
وحسبُك أن ترقب حركاته . يا الله . صبراً وإلا شهدت أنك
الجزء مشغطة برأس وقدمين وأن لا شيء فيك من الرجل .

عطيل : إسمع يا ياجو سترى أنني جليد كل الجسد ولكن اعلم أيضاً أنني
سفاح في الغاية .

ياجو : مهيا تقتل لا تدرك حق ثارك ، غير أنه يحسن عمل كل شيء في
ميقاته . أتريد أن تتواري ؟ (يختبئ عطيل) الآن سأسأل
كاسيو عن بينكا الماهرة التي تباع بحاسنها وتشترى خبزاً
وملابس . هذه الفاجرة مجنونة بكاسيو لأنه من مصائب البقيات
أن يخدعن ألوفاً ويخدعن واحد . فتى سمع ذكرها لم يملك أن
يضحك حق يشرق ... أراء قادمة ومتى تبسم أصبح عطيل
مجنوناً وأوتت غيرته الفاحشة كل رمز يرمزه من تبسم وإشارة
أسوأ تأويل على المسكين كاسيو . (يدخل كاسيو)

ياجو : كيف أنت الآن أيها الملازم ؟

كاسيو : كما يكون القليل ، وإنني لقتيل بفقدني اللقب الذي تلقبني به .

ياجو : أصررت على التماس الشفاعة من ديدمونه وثقت بالنجاح (بصوت

خافت) أما لو كانت أمنيتك عاقبة برداء بينكا لتحققت سريعاً .

كاسيو : مسكينة تلك الإنسانية .

عطيل : (في مكنه) انظر كيف طفق يضحك !

ياجو : لم أر قط امرأة تحب رجلاً هذا الحب .

- كاسيو : ويحيا من خاطئة أظن على ذمتي أنها تعبني .
- عطيل : (في مكنه) ها هو ذا ينكر الجريمة بتراخ لكن يضعك
لذكرها كثيراً .
- ياجو : أسمع يا كاسيو ؟
- عطيل : (في مكنه) إنه الآن يخرج ليحمله على الإخبار . أحسنت
أحسنت .
- ياجو : تشيع أنك ستقترن بها . أهذه أمنيتك ؟
- كاسيو : ها ها ها ...
- عطيل : (في مكنه) أفأفتر أيها الروماني أفأفتر ؟
- كاسيو : أنا أفأفتر بها . بومس . هب عقلي شيئاً من حسن ظنك ولا يكن
رأبك هذا الرأي العفـين . ها ها ها .
- عطيل : (في مكنه) كذا كذا الظافرون يضحكون .
- ياجو : بذمتي إن إشاعة زواجكما متناقلة .
- كاسيو : بحياتك قل لي الحقيقة .
- ياجو : إن لم يكن قولي الحقيقة فلا كنت إلا محض مجرم مزور .
- عطيل : (في مكنه) طبعت السمّة على جبهتي لا بأس .
- كاسيو : إن هي إلا إشاعة صادرة عن تلك الوقعة تظن أنني أتاهل بها
عن زهو وخيلاء منها لا عن وعد مني .
- عطيل : (في مكنه) ياجو يشير إليّ ... سيبدأ القصة .
- كاسيو : كانت هنا من هنية ودأبها أن تدركني في كل مكان .
ومن جنونها أنها لحقت بي إلى شاطئ البحر منذ أيام وكنت

- أحداث بعض البندقيين فجاءت وطوقت عنقي هكذا
عطيل : (في مكنه) وهي تصيح : « يا حبيبي كاسيو » . آه
يقوله لفصاحة إشارته .
- كاسيو : عقلت بعنقي وأخذت تترجح وثبكي وتدفعني وتجد
ها ها .
- عطيل : (في مكنه) يخبره كيف أدخلته غرفتها . آه إني أرى
لا بل أرى الكلب الذي سألقيه اليه .
- كاسيو : لا بد لي من مقاطعتها .
- ياجو : ليس بحضوري ... التفت تجدها مقبلة .
- كاسيو : هذه مفتوتتي يسطع عطرها إلى هذا المكان . (تدنو)
- كاسيو : ما مرادك من مطاردتي هكذا ؟
- بينكا : طاردك الشيطان وأثناء ما كان مقصدك من هذا الم
دفعته إليّ منذ قليل . غلبت عليّ الغفلة فصدقت أقا
رسمه . أمن المعقول أن تجد مثل هذا الشيء الثمين
من غير أن يكون أحد قد تركه ، هذا بلا شك هدية
ما ، وأنا أكلف تصوير مثله . أهي الله أن أفعل . -
عشقتك . أيا يكن مأناه فلن أنقله .
- كاسيو : ماذا جرى يا صفتي بينكا ماذا جرى ؟
- عطيل : (في مكنه) يا لله لا بد أن يكون هذا منديلي .
- بينكا : إذا أردت أن تجيء لتناول العشاء الليلة فأهلاً وإلا
تشاء ... (تنخر)

- ياجو : اعدّ وراءها أدركها .
- كاسيو : لا بد لي من ذلك أو تملأ الطرق صياحاً .
- ياجو : أتتعشى هناك ؟
- كاسيو : هذا إزماعي .
- ياجو : لعلي ألحق بك إذ انني في حاجة لمفاوضتك .
- كاسيو : تعالَ ولك الفضل . أتجيب ؟
- ياجو : كفاية لا تزيد . (يخرج كاسيو)
- عطيل : (في مكنه) أية قتيلة أقتله ؟ أمير .
- ياجو : رأيت كيف كان يضعك من جريمته ؟
- عطيل : ياجو ياجو .
- ياجو : وهل رأيت المنديل ؟
- عطيل : أكان مندبلي ؟
- ياجو : مندبلك قسماً بيدي ، ومن الغريب أن تكون هذه عنده قيمة امرأتك المجنونة التي تعطيه مندبلا ويعطيه بغيتاً .
- عطيل : أتمنى لو مكثت تسع سنين أقتله — امرأة جميلة ، امرأة رشيقة ، امرأة أنيسة .
- ياجو : لا بد لك من نسيان كل هذا .
- عطيل : نعم ولتذهب إلى حيث تقضي ولتهلك جسماً ونفساً في هذه الليلة ... لن تعيش ... لا ... إن قلبي قد تحول إلى حجر ، أضربه ويحرج يدي . أواه ليس في العسالم أعذب منها امرأة . كان يحق لها أن تقترن بملك كبير وتأمرة بها تشاء .

- ياجو : ليس هذا ما ستفعله معها .
عطيل : لتشتق ... ولكن اذكر صفاتها . ما أبرعها في تقليب الإبرة ،
ما أ머رها في الموسيقى . إذا تفننت أزالته وحشية الضاري ،
غير أنها مع ذلك الذكاء وتلك الفطنة ...
ياجو : أجدر بالتهريب (١) .
عطيل : ألف مرة أجدر . ثم ما أشرف محنتها (٢) .
ياجو : أشرف من أن يعبت به هكذا .
عطيل : تجاوزت حده بلا مراء ولكن يا لكفين ، ياجو يا للخسارة .
ياجو : إذا كنت مفرماً إلى هذا الحد يفجورها فأعطاها إجازة لارتكاب
الخطايا وهذه الإباحة لا تعني أحداً غيرك .
عطيل : سأفشيها شماً . تلك التي عرضتني لهذه المهانة .
ياجو : إن ذنبها لعظيم .
عطيل : تخوتني مع تابعي !
ياجو : وهذا ذنب أعظم .
عطيل : هيس لي سمّاً يا ياجو ... الليلة . لا أريد أن يجري عتاب بيني
وبينها مخافة أن يتقلب جسمها وجسالتها على نفسي . الليلة يا
صاحبي .
ياجو : لا تقتلها بالسم ، اخنقها في نفس السرير الذي دنستّه .
عطيل : هذا المقاب أعجبني وهو أفضل .

(١) أثرب : لام ، قبح عليه فعله . (٢) محنتها : أصلها .

- ياجو : أما كاسيو فدعني أتولّ القضاء عليه وستعلم بقية أمري في منتصف الليل .
- عطيل : غاية في الإحسان (يسمع بوق) ما هذا البوق ؟
- ياجو : رسول من البندقية بلا شك ... هذا لودفيكو آتياً من قبل الدوج وهذه امرأتك تصحبه .
- (يدخل لودفيكو وديدمونه وأتباع لهما)
- لودفيكو : كلأك الله أيها القائد الشريف .
- عطيل : مطيعك من صميم القواد يا سنيور .
- لودفيكو : الدوج وأعيان البندقية مرسلون اليك تحياتهم .
- عطيل : أقبّل الهينة ^(١) الحاملة لمشيئتهم .
- ديدمونه : وما وراءك من الأخبار يا ابن عمي لودفيكو .
- عطيل : أنا مسرور برؤيتك يا سنيور مرحباً بك في قبرس .
- لودفيكو : شكراً لك ، وكيف الملازم كاسيو ؟
- ياجو : حي يا سنيور .
- ديدمونه : يا ابن عمي لقد قام بينه وبين مولاي خلاف أحزنتني لكن أرجو أن تعيد المياه إلى مجاريها .
- عطيل : أواقفة أنت من ذلك ؟
- ديدمونه : مولاي .
- عطيل : (قارناً) « واليك أن تفعل في هذا الأمر ما تراه » .

(١) الهنة : الشيء .

- لودفيكو : لم يخاطبك بل كان مشتغلا بمطالعة هذا الكتاب . أوجد شقاقاً بين القائد وبين كاسيو ؟
- ديدمونه : شقاق ساءني جداً وأرغب في إزالته كل الرغبة لما لي من العطف على كاسيو .
- عطيل : لخب وملح بارود .
- ديدمونه : مولاي .
- عطيل : أمعك مُسكة من العقل .
- ديدمونه : أتراه غضبان .
- لودفيكو : لعل هذا الكتاب أثر فيه فإن به على ما أظن استدعاه إلى البندقية وتقليد منصبه لكاسيو .
- ديدمونه : حبذا البشري وما أفرحني بها .
- عطيل : الله الله .
- ديدمونه : مولاي .
- عطيل : أنا فرح بأن أراك مجنونة .
- ديدمونه : كيف يا مولاي الكريم .
- عطيل : أنت شيطانة (يصفها) .
- ديدمونه : لم أستحق هذا .
- لودفيكو : لو أقسمت في البندقية أني رأيتك تضربها لما صدقوني . هذا فوق الطاقة . استغفرها إنها تبكي .
- عطيل : يا للشيطانة الشيطانة لو كانت الأرض تلتقم بمبرات لكأنت كل دمة تسقط من عيون امرأة تلد تمساحاً . اليك عني .

- ديدمونه : (تتجه للانصراف) أنصرف منعا لاستيائك .
- لودفيكو : هل في السيدات أطوع منها ، أبتهل اليك يا مولاي أن تدعوها .
- عطيل : أيتها السيدة .
- ديدمونه : مولاي .
- عطيل : ما تريد منها يا سنيور :
- لودفيكو : من ؟ أنا يا سيدي ؟
- عطيل : نعم أنت رغبت إلى في دعوتها ولها أن تجيء ، وتذهب وتدور وتقدم وتتأخر كما تشاء ولها أن تبكي ما تبكي . وهي طيعة كما تقول يا سنيور ، طيعة جداً ... واصل البكاء ... أما محتوى هذا الكتاب فهو أنني أمرت بالعودة إلى البندقية . أراه مما 'ترهقني الآلام - اذهبي وسأبعث في طلبك بعد هنيهة ... سنيور إني مطيع للأمر وسأرجع للبندقية ... تواري من هنا انصرفي (تخرج ديدمونه) سيتولى كاسيو مكاني . سنيور أرجو أن تجيب دعوتي إلى العشاء الليلة . مرحباً بك في قبرس يا سنيور - تيوس وقرادة .
- لودفيكو : أهذا هو ذلك المغربي الذي أجمع مجلس أعياننا على امتداحه في كل شيء ؟ أهذا هو ذلك الطبع الذي لا يستغزه الغضب والذي تتعالى شجاعته عن أن تناهها ورؤية زندي من زناد العرض أو تصديها رمية من سهام الطواريء ؟
- ياجو : لقد تغير حتى تنكر .
- لودفيكو : أهو مالك عقله ، أو ليس به مس وخبال .

- ياجوو : هو ما ترى . لا ينبغي لي أن أنتقده . وليته كان كما يجب ، بل
كما يستطيع أن يكون .
- لودفيكو : يا للفظاعة يضرب امرأت .
- ياجوو : بدمتي لم يكن عمله جميلا ولعله لا يتبعه بأقبح .
- لودفيكو : أهذه عادته أم أثر فيه هذا الكتاب تأثيراً حمله على ارتكاب
هذه المفرة .
- ياجوو : ليس مما يقتضيه وفائي أن أخبرك بما رأيت وعرفت . متعلم من
أعماله ما يفنيك عن كلامي ، تتبعه وارقب ما سيكون من
بقية أمره .
- لودفيكو : إني أسيف لما اعتقدته فيه من الخير .

المشهد الثاني

مسكن في القصر

(يدخل عطيل وإميليا)

- عطيل : إذن لم ترى شيئاً ؟
- إميليا : ولم أسمع ولم يخامرني ظن .
- عطيل : بل رأيتها معاً هي وكاسيو .
- إميليا : لكنني لم ألمح ريبة خلال هذه المقابلات ولم يفتنني هجاء مما كانا
يقولانه .

- عطيل : غريب . ألم يتهامسا ؟
 إمبليا : قط يا سيدي .
 عطيل : أولم تبعدك مرة عن مكان الاجتماع ؟
 إمبليا : قط .
 عطيل : لتجيشيها بروحتها أو قفازيها أو حجاب وجهها أو أي شيء آخر .
 إمبليا : قط يا سيدي .
 عطيل : غريب .
 إمبليا : أقسم إنها طاهرة يا سيدي وأخاطر على حياتي ، فإن كان قد
 خامرك شك فقد خدعت ، وإن كان لبئيم " غادر قد دس " في نفسك
 هذا الشك فليلعنه الله لعنة الثعبان . فوالله لئن لم تكن عفيفة
 نقية صادقة فليس في الدنيا رجلا سعيد وليس في النساء مها
 طهرت الواحدة منهن إلا كل ملوثة كالفضيحة بعينها .
 عطيل : أبلغني أمري بالجهء (تخرج إمبليا) تكلم بجلاء ولكنها قوادة
 كسائر القوادات لا تستطيع أن تقول إلا ما قالت . أما تلك
 فبني " حذرة بل غرفة سوء مقفلة على أسرار نجسة ، ومع هذا
 رأيتها تجثو وتصلي . رأيتها ...

(تدخل ديدمونه وإمبليا)

- ديدمونه : مولاي ما مشيتك ؟
 عطيل : تعالي إلى هنا يا دجاجتي .
 ديدمونه : ما الذي تريده ؟
 عطيل : أريني هيليك . انظري إلي " مواجبة .

- ديدمونه : ما هذه الأمنية المنكرة ؟!
- عطيل : (إلى إميليا) أنتِ يا سمحة جودي علينا ببعض الخدم التي تحسنينها . دعي العاشقين مختلفين وأقفلِي الباب ثم اسعلي أو مهممي إذا جاء أحد . إلى مهنتك . امضي . أسرعي (تخرج إميليا) .
- ديدمونه : ألتمس منك جائية أن تقول لي ما معنى هذا الخطاب . أحسن فيه الغضب ولكن الألفاظ لا ادرك معناها .
- عطيل : أجيبيني من أنتِ ؟
- ديدمونه : زوجك يا سيدي ، حيلتك الخلصة .
- عطيل : أقسمي على هذا واقضِ على نفسك بعذاب الآخرة إن لم يكن حقاً . إنك لتشبهين الملائكة شياً يخيف الشياطين من قبضك ... أقسمي مرتين على حياتك الآخرة بأنك طاهرة .
- ديدمونه : السماء تعلم عفتي بكل تحقيق .
- عطيل : السماء تعلم بكل تحقيق أنك خادعة كجهم .
- ديدمونه : خدعتُ منْ يا سيدي ؟ ولمن ؟
- عطيل : آها ديدمونه اذهبي اذهبي اذهبي .
- ديدمونه : أواه من هذا اليوم المشؤوم لماذا تبكي ؟ أنا مسببة هذا البكاء يا سيدي ؟ إذا كنت تظن أن أبي كان الساعي في رجوعك فهل عليّ ملام ؟ وإذا كنت قد فقدت صداقته فقد فقدتها أنا أيضاً .
- عطيل : لو أنه طاب للسماء أن تمنحني بأشدّ البلايا فأمطرت علي رأسي حاسراً صنوف الآلام والمعرات وأغرقتني في الفقر إلى الشفتين وسامتني الأسر وخيبة البقية من آمالي ، لوجدتُ في زاوية من

نفسى أدنى موضع للصبر ، ولكن يا الحيف ، لا صبر لي على أن أكون تمثالاً يرمقه الزمان ويشير إليه الاحتقار بإصبع يرفعها على مهل . على أنني ربما تماديت إلى تحمّل هذا ولا بأس . إلا أنت هناك مقدّماً أودعت فيه قلبي وهو الذي يجب أن أعيش فيه أو لا معنى للعيش . ثم إن هناك ينبوعاً يجري منه تيار بقساثي وبدونه ينضب فأنا بين خطتين : إما أن أطرده من المقدس وإما أن أبقى ينبوع مباحاً كالبشر تردده الصراصير القنطرة وتتواقع بجانبه وتتناسل . إياها الصبر . إياها الملك الوردي الثغر ، تحوّل تجاه هذا المشهد واتخذ وجهاً قائماً كوجه سقر^(١) .

ديدمونه : أرجو أن يكون سيدي على يقين من عفتي .

عطيل : نعم ، نعم كيقيني من ذباب الصيف في الجسازر لا تبيض حتى تتجامع . أيتها الزهرة المتناهية رقة وجمالاً النافعة من الطيب ما يُستكر الجوارح لماذا ولدت في الدنيا ؟

ديدمونه : يا ويحي أية خطيئة من خطايا السهو اقترفت ؟

عطيل : هذه البشارة الناعمة . هذا الكتاب الشائق المكسوة^١ أكان معدّاً لتخطّ على ظاهره كلمة « مومس » ؟ أية خطيئة ارتكبتها ؟

يا بني السوق لو ذكرت لك ما فعلته لآحرت وجنتاي كالتنور ولسحقنا كل خبجل سحق الرماد . أية خطيئة ارتكبتها ؟

السماء تسد^٢ أنفها من رائحتها والقمر يغمض عينيه من قبئها والنسيم الفاسق الذي يقبل كل ما يمر^٣ به يختبئ منها في جوف

(١) سقر : جهنم .

الأرض ويأبى سماعها . أية خطيئة ارتكبتها أيتها الفاجرة
الوَقِيحَة ؟!

ديدمونه : وأيّمُ السماء إنك لنفتري عليّ الإهانة .

عطيل : ألسنِ عاهرة ؟

ديدمونه : لا والذي خلقتني متّقية ، وإذا لم يكن إثمًا عليّ حفظي لهذا
الإثاء الجثامي نقياً من كل شائبة وملس سيء ، فلست ما تصف

عطيل : وكيف لست بفيثاً ؟

ديدمونه : إني لمؤمنة ببراءتي كإيماني بنجاتي من عذاب الآخرة .

عطيل : أفي الاحتمال هذا ؟

ديدمونه : غفرانك اللهم لنا غفرانك .

عطيل : إذن أسألك العفو فقد كنت ظننتك تلك الخبيثة العاهرة من
عواهر البندقية التي اقترنت بعطيل . أنت يا سمحة أنت التي
تمهين نقيض مهنة بطرس وتحرسين أبواب جهنم .

(تدخل إميليا)

عطيل : أنتِ أنتِ ! نعم أنتِ لقد قضينا لبائتنا وهذا جزاؤك من
النقود . أرجو أن تغلقي الأبواب وتكتمي سرّنا . (يخرج)

إميليا : ويلاه ماذا يتصور هذا السيد ؟! كيف أنت الآن يا مولاتي
الكريمة ؟

ديدمونه : بين نوم وبقظة .

إميليا : ماذا جرى بينك وبين مولاي ؟

ديدمونه : وبين من ؟

- إميليا : وبين مولاي يا سيدي .
ديدمونه : مَنْ مولاك ؟
إميليا : الذي هو مولاك يا سيدي .
ديدمونه : لا مولى لي . لا تكلميني يا إميليا فما أستطيع البكاء ولا جواب
بغيره عندي . أرغب اليك أن تضي في هذا المساء على سريري
أغطية العرس . لا تنسي واذهي قاعدي زوجك إلي .
إميليا : هذا تفيير عجيب . (تخرج)
ديدمونه : عدلٌ ما عوملت به ؛ عدل ولكن ما الذي صنعت حتى إن أكبر
هفواتي أدخلت على نفسه أدنى ريب !
(تعود إميليا وياجو)
ياجو : ماذا تريدن يا سيدي ؟ ماذا جرى ؟
ديدمونه : لا أقدر على ذكره ، الذين يربون الأطفال يرفقون بهم ويكلفونهم
الأعمال السهلة ، كان يستطيع أن يعاملني هكذا — لأنني طفلة
متى زجرت ...
ياجو : ماذا حدث يا سيدي ؟
إميليا : ويلاء إن سيدي قد أهانها كثيراً ودعاها بفياء وحقرها تحقيراً
مرهقاً بالفاظ سمجة لا تطيقها القلوب الكريمة .
ديدمونه : أنا جديرة بهذه التسمية يا ياجو ؟
ياجو : أية تسمية أيتها السيدة الجميلة ؟
ديدمونه : التي دعاني بها مولاي .
إميليا : دعاها بمامرة وهو ما لا يقوله الشعاذ السكران لمن هي معه .

- ياجو : علام فعل هذا ؟
ديدمونه : لا أدري . وأنا على ثقة من أنني لست كما زعم .
- ياجو : لا تبكي لا تبكي . ويلاه . مصيبة .
إميليا : أتركت سائر خطاياها الشرفاء وهم كثير ، وتركت أباها وبلادها وأصدقاءها لتسمى عاهرة ؟ أليس في هذا ما يستبكي ؟
- ديدمونه : قضاء من نحسي .
ياجو : لعنة الله عليه لفعله هذا ، من أين أصابه هذا الجنون ؟
ديدمونه : الله وحده يعلم .
- إميليا : بل على عنقي . إن هناك غداراً هالكا دساساً محتالاً شحاذاً
نشاماً غشاشاً وئساً وشاية لينال منصباً . على عنقي هذا ما
هو كائن .
- ياجو : دعي الوهم أوجد رجل من هذا النوع ؟ ! محال .
ديدمونه : إذا كان موجوداً فليساعده الله .
- إميليا : بل ليساعده جبل المشنقة ولتأكل جهنم عظامه . لم دعاها بغياً...
من الذي يعاشرها وأين ومتى وأي ظاهر دل . وهل هو معقول ؟
لقد خدع المغربي . خدعه أحد السفلة الأذنياء المجرمين الأبالسة ،
أحد المكرة المتهنين . يا للسماء لو عدلت لوجب أن تكشفني
الستار عن أولئك المجرمين وتضمي سوطاً في يد كل رجل كريم
بُساط به أولئك اللثام في أطراف الدنيا من الغرب إلى الشرق .
- ياجو : اخفضي من صوتك .
إميليا : خيبة وعار على أولئك الناس . ألم يدخل عليك واحد منهم أن

بيني وبين المغربي ربية . (مخاطبة ياجو بصوت منخفض)

ياجو : (من جانب إلى إميليا) أنت حمقاء امشي .

ديدمونه : ياجو واحسرتاه كيف أصنع لأعود إلى رضى مولاي ؟ اذهب
إليه يا صديقي لأنني وَايمُ هذا النور السهوي لا أعرف كيف
فقدته . إنني لأجثو هنا ولئن كنت قد أخطأت إلى غرامه مرة
عن قصد سواء بلساني أم بفكري أم بفعلي ، بل لئن كانت عيناى
أو أذناى أو أية حاسة من حواسي الأخر مالت إلى غيره ، بل
لئن كانت غير مقيمة على حبه الآن كما كنت أحبه وكما سأحبه
أبدأ حق لو قذف بي في شقارة الطلاق ، لا كانت لي سلوى ولا
تعزية في هذه الدنيا . إن القسوة لتقدر علي كثير وقسوته علي
قد تقتلني على أنها لا تدنس غرامي . أنا لا أستطيع أن أقول
بغبي . هذه الكلمة يؤلني لفظها فما بال العمل الذي يصمُ بها ولو
دعنتي إليه جميع أناطيل الحياة .

ياجو : صبراً صبراً إن هي إلا سحابة كدر وتنقضي . لقد أزعجت
أحوال الحكومة فوقك عليك غضبه .

ديدمونه : إن لم يكن سبب إلا هذا رضيت .

ياجو : لا سبب إلا هذا ، على عهدتي (تسمع أبواق) أصغي هذه الأبواق
تدعوك إلى العشاء وسفراء البندقية في انتظارك للجلوس إلى
المائدة انهضي اليهم ولا تبكي ثم كل شيء يجيء على المرام (تخرج
ديدمونه وإميليا) ما جاء بك يا ردريجو . (يدخل ردريجو)
ردريجو : لا أجذك تحسن الصنيع معي .

ياجو : ما يثبت لك ذلك .
ردريجو : كل يوم تطاولني ملتصقاً عذراً جديداً ويظهر أنك تمنعني الفرص
بدلاً من أن تساعد على سئورها . لن أتحمّل هذه السيرة ولم يبق
في رسمي أن أهضم بسكينة كل ما هضمته عن حمق من قبل .

ياجو : أتصغي إليّ وتمثّل يا ردريجو ؟
ردريجو : وذمتي لقد طالما امتثلت فما حلوت بطائل لأن أقولك لا تنطبق
على أفعالك .

ياجو : تهمني بغير حق .
ردريجو : بل بحق ، فلقد أنفقت ما جاوز مقدرتي والجواهر التي أعطيتك
إنها برسم ديدمونه كانت تكفي لقصم راحة من نصفها ، فإن
كنت قد أوصلتها كدعواك وكانت العِدات^(١) التي جثنتي بها
منها شكراً صحيحاً فلم لا أجد تحقيقاً لشيء منها ؟

ياجو : امض في كلامك . هذا حسن .
ردريجو : امض ، كفاني ما مضى - هذا حسن . أقول إن فعله ليس
بحسن . بل إنه نهاية في القبح وقد ألمح أنك عبثت بي في
هذه المسألة .

ياجو : حسن في الغاية .
ردريجو : قلت لك إنه غير حسن لا في الغاية ولا في البداية . اريد أن
تعرفني ديدمونه ، فإذا ردت عليّ جواهري عدلت عن متابعتها

(١) العِدات : المراعي .

والتمست الصفح منها عن سوء ما نددتها له وإلا جعلتك مسؤولاً
عنها وأزلت بك عقابي .

ياجو : ماذا كنت تقول بعبارتك الأخيرة ؟

ردريجو : لم أقل إلا ما أنا مزعم فعله عن يقين .

ياجو : الآن تبين أنك باسل ، ومنذ الساعة أرى فيك رأياً لم أره من
قبل . صافحني يا ردريجو لقد أسأت بي اللظن ولك العذر غير
أنني أؤكد لك أنني اشتغلت بمهارة لا تقبل المزيد في مسألتك .

ردريجو : مهارة لم أتبين أثرها !

ياجو : اسلم ، ولهذا أجدك حكمت بعقل . لكن إذا صحّ أن عندك
ما أعتقده الآن فيك من الشجاعة ورباطة الجأش فأرنيها الليلة ،
فإذا كنت في الليلة التالية لا تتمتع بديدمونه كان لك أن تقصيني
عن هذه الدنيا بخيانتني وتصب من الفخاخ ما تشاء لإفقادي
حياتي .

ردريجو : أوافق . ما الذي تبتغيه مني ؟ شيء في الإمكان أو المعقول ؟

ياجو : لقد جاء وفد خاص من البندقية لإحلال كاسيو محل عطيل .

ردريجو : أصدق هذا النبأ . إذن عطيل وديدمونه يمودان إلى البندقية .

ياجو : كلا ، بل يذهبان إلى موريتانيا إلا إذا اضطرت الأحوال عطيلاً
أن يطيل مقامه هنا . وخير ما يستطال به مقامه أن يُحذف
كاسيو .

ردريجو : ما تعني بهذا الحذف ؟

ياجو : أعني أن يُعاق عن الحلول محل عطيل ... أن يُهشم رأسه .

ردريجو : وهذا ما تنوطه بي .
ياجو : نعم إذا جرؤت أن تملك نفسك نفعاً وحقاً . سيتعشى الليلة عند
فاجرة فالحق به إلى منزلها وهو ما زال يحهل النعمة التي وقمت
إليه ، فارقبه إن شئت بين منتصف الليل والساعة الواحدة ...
ومتى ألفتني يحساتبك لأعينك بحيث لا ينجو من ضرباتنا ،
فاعزم ولا تقف دهمشاً متردداً بل تعال معي ، سأريك بعينيك
وجوب قتله فتجد من نفسك عاملاً على الإيقاع به . قد مضى
ميعاد العشاء فلا تقباطاً لعدم فوات الفرصة ، هلم بنا إلى العمل .
ردريجو : أريد أسباباً أدعى من هذا لارتكاب ما تكلفني إياه .
ياجو : سأوافيك منها بما تشاء . أرح مالك . (يخرجان)

المشهد الثالث

مسكن آخر في القصر

(يدخل عطيل ولودفيكو وديدمونه وإميليا وأتباع لهم)

لودفيكو : حلفت عليك إلا ما منعت عن نفسك أمثال هذه المكدرات .
عطيل : ألا تسمح بالخروج قليلاً لأن التنزه يفيدني .
لودفيكو : طاب ليلك يا سيدي وشكراً جزيلاً لفضلك .
ديدمونه : الشكر لك على التشریف .
عطيل : أتمضي للتنزه يا سقيور ... أه ديدمونه ... انطلقني وادخلي
سريرك منذ الآن . سأعود بلا قوازن ثم اصرفي التابعة ولا تنسي .

ديدمونه : نعم يا مولاي . (يخرج عطيل ولودفيكو والأتباع)

إميليا : يظهر أنه أصفى مما كان .

ديدمونه : قال إنه عائد حالاً وأمرني أن أذهب إلى السرير وأوصاني بصرفك .

إميليا : بصرفي ؟

ديدمونه : كذا أراد ، فأعطيني يا عزيزتي إميليا بدلة نومي ودعيتي ، إذ لا ينبغي أن نفعل الآن ما يرضيه .

إميليا : كنت أودّ لو لم ترضه قط .

ديدمونه : ليس هنأ ما أود ، وإن حي له ما زال بأكله - أرجو أن تفكي عري ثوبي - حتى إنني لأجد لطفاً وجمالاً في غضبه وزجراته .

إميليا : جعلت على السرير الأغطية التي أوصيتني بوضعها .

ديدمونه : أستوى عندي كل شيء . ما أعبت الجتون بنفوسنا . إذا مت قبلك فأمنيتي أن تلفتيني بهذه الأغطية .

إميليا : دعي دعي السفاف .

ديدمونه : كانت لأمي وصيفة تدعى بربارة وكانت تمسق رجلاً . ذلك الرجل أصيب يوماً بخيال وهجرها فكانت لا تفتأ تنشد أنشودة قديمة تعبر أحسن تعبير عن سوء بختها . ولما حضرتها الوفا: قضت نحبها وهي تتغنى بها . تلك الأنشودة تعاود فكري الليل بلا انقطاع ، وأكاد لا أملك رأسي أن يميل إلى جانب ولا لسانني أن يردد أنشودة المسكينة بربارة . عجلي ولك الشكر .

إميليا : أحضر لك قيص النوم ؟
ديدمونه : لا ، أعينيني على تفكيك هذه العرى ، إن لودفيكو لرجل كريم .
إميليا : ومنيف في الرجال .
ديدمونه : وحسن الحديث .
إميليا : أعرف امرأة في البندقية لو وُعدت بقبيلة من شفته السفلى
لسافرت إلى فلسطين في طلبها .

ديدمونه : (متغنية) « ثَوَّتَ الحزينة تبكي تحت الجييزة »
« غنوا جميعاً على الصفصافة الخضراء »
« وضعت يدها على صدرها ورأسها على ركبتيها »
« غنوا جميعاً على الصفصافة الصفصافة الصفصافة »
« وكانت المياه الباردة تجري بقربها وتنهّد تنهّدها .
« غنوا على الصفصافة »
« ودموعها تجري حتى تلين الصخور »
« ضمي هذه الملابس هنا .
(متغنية) « غنوا على الصفصافة ... »
بحياتك عجّلي قد قرّب معاده .
(متغنية) « ليصنع تاجي من صفصافة خضراء »
« لا تلموه على الجفاء أفديه وأفدي إعراضه »
نسيت البقية : سمّاً ... من يطرق الباب ؟

إميليا : الريح .
ديدمونه : (متغنية) « دعوتك بالماشق الكاذب فماذا قال ؟ »

« غني على الصفاة ... »

« إذا غازلتُ غيرك من النساء غازلتِ غيري من الرجال »
الآن اذهبي ومَسَّاكِ اللهُ بالخير: جُفوني تَحْزِنُني ، أَسْبَقُ شعور
بأنني سأبكي ...

إميليا : هذا لا يدل على شيء .

ديدمونه : كنت سمعت كلاماً في هذا المعنى ، أوّه الرجال الرجال ؟ أتظنين
يا إميليا وجود نساء يُهنّ بعولتهن إهانة غليظة كهذه ؟

إميليا : توجد نساء من هذا القبيل ولا شك .

ديدمونه : لو أعطيت العالم بديلاً أكنت تقترفين خطيئة كهذه ؟

إميليا : أقترفها ولا ريب ... أما أنت أفما كنت لتفعلني ؟

ديدمونه : لا وهذه الأنوار السماوية .

إميليا : أنا أيضاً لا أفعلها وهذه الأنوار^(١) السماوية أما في الظلام فبلى .

ديدمونه : أنفعلينها ولو أعطيت العالم كله .

إميليا : العالم شيء عظيم وهو جائزة كبيرة لخطيئة صغيرة .

ديدمونه : أظنك إذ جدّ الجد لا تقترفينها .

إميليا : إذا جدّ الجدّ أظنني أقترفها ، وأنتي بعد اقترافها أتوبُ عنها .

لا جرم أن الهدية لو كانت خاتماً مضاعفاً أو بعض أصواف أو
ثياب أو قبعات أو أي شيء حقير من هذه الدنيا لصنت نفسي
وأما الدنيا بخذافيرها فلا . وهل توجد امرأة لا تشتري لزوجها

(١) الأنوار في السطر السابق مكسورة على الإقسام وفي هذا السطر منصوبة
باعتبار أن الواو وار المعية .

الملك بقرنين خفيين . من يقدِّم بعلي التاج فقد رضىت بالأعراف (١) سيلاً .

ديدمونه : رضىتُ بلعنة الله لو رضىتُ بالدنيا قاطبة جزاء خطيئة من هذا القبيل .

إميليا : خلي عنك ، لو أوتيت الدنيا لما كانت خطيئتك فيها إلا إحدى الخطايا التي تجري في أملاكك ولك حينئذ أن تكفري عنها سريعاً بما تشائين .

ديدمونه : لا أعتقد وجود مثل هذه المرأة .

إميليا : نعم توجد من صنفها عشرات بل بعداد ما يكفي لعمار العالم الذي يقامرون لأجله . على أنني أعتقد أن النساء إذا عثرنَ فالذنب للمعولة لأنهم بين خلتين (٢) إما أن يهلوا بالحياتهم ويُلَقُوا بكنوزهم في أحواض أجنبيات أو أن يتفجروا عليهن غيرة فيسومونهن المضايقة وآلام الضرب ، وقد يتقرون أموالهن . ومهما يكن من طبائعا فإن فيها شيئاً من السم ، ولستنا خاليات من شغف بالانتقام تحت ما يروق من مظاهرها . . . ليعلم الأزواج أن لتسائهم حواس مثلهم لمن عيوننا ومناشِقَ وحلوقاً يميز بها الحلو من المر كما لهم . وماذا هم فاعلون حين يستبدلون بواحدة منا غيرها ؟ أهي اللذة تدعوهم ؟ نعم . أهو القرام يدفعهم ؟ نعم أيضاً . أهو الضعف ينتقل بهم في هذه الضلالات ؟ نعم نعم نعم ؟ فإن كان الأمر كذلك أفليست لنا نحن أيضاً لذات نشتهبها

(١) الأعراف : مكان تطهير النفوس بعد الموت . (٢) خلتين : أمرين .

وسودات فبتقيها مع ضعف كضعفهم يحملنا على غير كحتمل ؟
لهذا أقول إما أن يحسنوا معاملتنا أو فليعلموا أن الآثام التي
نقترفها إنما هي رجع ما تتعلمه من آثامهم .

ديدمونه : طاب ليلك ومُسيتِ بخير وليمنحني الله أخلاقاً تعينني لا على
استخراج الشر من الشر بل على استخراج صلاح لنفسي من حيث
لا يكون صلاح .

الفصل الخامس

المشهد الأول

في قبرس - طريق

(يدخل ياجو ودريجو)

ياجو : مهيا ... قف وراء هذا الطرف من الحائط . إنه لآتِ حالاً .
أسل فصلتك الماضية واعطه بها جوازاً لسكنى الآخرة ...
عجلاً عجلاً . لا تخف شيئاً أنا بجانبك . إننا بفعلتنا فائزان أو
هالكان . تذكر هذا وامكث متيناً في قصدك .

ردريجو : البت بقرب مني . أخشى أن يخور عزمي .

ياجو : هأنذا على منالك . تشجع وقف متأهباً . (ينتحي قليلاً)

ردريجو : لا أجد من نفسي دافعاً قوياً على ارتكاب هذا العمل إلا أن ياجو

ذكر لي أسباباً مقنعة . لقد قضيت على الرجل . تجرد من غمدك يا

سيفي . إنه لهالك . (يقف متأهباً)

ياجو : حككت له ذلك الجرب حتى هاج وتحكم . ليقتل كاسيو أو ليقته

كاسيو أو ليتأخر كلاهما فالنتيجة أية كانت مفيدة لي. ذلك لأنه إذا بقي ردريجو طالبني بالحلى والمصوغات التي سللتها منه تباعاً بزعم أنها هدايا إلى ديدموونه ، وما ينبغي أن يستردها مني. وإذا بقي كاسيو عاش عيشة رغد ومجد تكون بجانبها عيشتي حقيرة جداً . فضلاً عن أن المغربي قد يكتشفه في أمري ، فأنا إذن في خطر عظيم ولا بد من قتله . صه صه . أسمع . قادماً .

(يدخل كاسيو)

ردريجو : عرفت خطاه ... هو بعينه — أنت مائت يا غادر يا أنيم .

(يهجم من مكته ويضرب كاسيو)

كاسيو : لولا متانة درعي لكانت هذه الضربة أعدى أعدائي . سأرى

الآن متانة درعك . (يجرده سيفه ويضرب ردريجو فيجرحه)

ردريجو : آه قتلت !

(هنا يهجم ياجو فيضرب كاسيو من وراء ضربة

تصيب فخذه ويتوارى)

كاسيو : كُسِرَتْ سَاقِي وَسَأَعِيشُ أَعْرَجٌ ، يَا لِلنَّاسِ ، عَلَى الْقَاتِلِ عَلَى

الْقَاتِلِ . (يسقط) (يدخل عطيل من مسافة)

عطيل : هذا صوت كاسيو لقد وفى ياجو بوعده .

ردريجو : أواه ما أشقائي !

عطيل : صدقت !

كاسيو : المدد المدد أنيروا هاتوا آسيباً^(١) .

(١) آسيب : طبيباً للجراحات .

- عطيل : هوآه ، أي ياجو الأمين الباسل الذي يقدر إهانة صديقه قدرها ، إنك لتعلمني ما يجب عليّ . وا عاهرتا إن حبيبك للقي صريعا ، وإن أجلك ليدنو ... بحوت من قلبي طلام عينيك وسيضرج سريرك الذي شابه الفسق بشوائب من دم فاسق .
- كاسيو : يا أهل المدد . ألا حرس هنا؟ ألا عابري سبيل ؟ يا للقتيل من القاتلين . (يدخل لودفيكو وغراتيانو من مسافة)
- غراتيانو : هذا ولا ريب خطب جمل وصوت المستعير صوت رائع .
- كاسيو : الممونة .
- لودفيكو : أصفوا .
- ردريجو : يا للشقي القادر .
- لودفيكو : هنا اثنان أو ثلاثة يثنون والظلام حالك . من رأيي ألا تقدم من حيث تخرج هذه الأصوات إلا إذا جاء مدد جديد .
- ردريجو : ألا يأتي أحد ، إذن يسيل دمي حتى أموت .
- لودفيكو : اسمع .
- غراتيانو : هذا شخص يمدو عاريا ومعه نور وأسلحة .
- (يعود ياجو ومعه مصباح)
- ياجو : من هنا ؟ من الذي يقلق السكون بصيحاته واستجاراته ؟
- لودفيكو : لا نعلم .
- ياجو : ألم تسمعوا صراخا ؟
- كاسيو : إلى هنا إلى هنا أغيثوني بالله .
- ياجو : ماذا جرى ؟

- غراتيانو : هذا ضابط عظيم إن لم أكن واهماً .
لودفيكو : هو بعينه ونعم الفتي الشجاع .
ياجو : من أنت أيها المستصرخ بهذا الصوت المنكر ؟
كاسيو : أياجو ؟ ضربني . قتاني أناس من اللصوص . أغثني .
ياجو : أسفاً أيها الملازم . من اللصوص الذين جئتوا هذه الجناية ؟
كاسيو : أظن أن أحدهم بقربي وسالته لا تمكنه من الفرار .
ياجو : يا للخونة الغدارين (ملتفتاً إلى لودفيكو وغراتيانو) وأنتم آمن
تكونان ؟ ... أقبلوا امنحنا مدداً .
ردريجو : أغثوني . أنا هنا .
كاسيو : هذا أحد المعتدين عليّ .
ياجو : يا لك من شحاذ قاتل . يا لك من غدار (يطمئن ردريجو بخنجره) .
ردريجو : أواه أيها الهالك ياجو أيها الكلب الوحشي .
ياجو : يقتلون الناس في الظلمات . أين أولئك اللصوص السفاكون
للدماء ؟ ما أسكت هذه المدينة .! قتيل قتيل ، ترى من
أنتم ؟ اللخير أم للشر ؟
لودفيكو : احكم لنا أو علينا بما ستري .
ياجو : السنيور لودفيكو .
لودفيكو : هو نفسه .
ياجو : ألتمس العفو . هذا كاسيو جرحه بعض المجرمين .
غراتيانو : كاسيو ؟
ياجو : كيف حالك يا أخي ؟

كاسيو : بُتِرَت سَاقِي شَطْرَيْن .
ياجو : لا سمح الله . أنيروا لأضمد جرحه بقِدَّة (١) من قميصي .
(تدخل بينكما)

بينكما : ماذا حدث ؟ مَنْ كان يستصرخ ؟
ياجو : من كان يستصرخ ؟
بينكما : واحبيباه كاسيو ، واعزيزاه كاسيو ، كاسيو كاسيو .
ياجو : يا لك من عاهرة فاجرة . كاسيو أتخمن مَنْ المعتدون عليك ؟
كاسيو : لا .
غراتيانو : أنا حزين لرؤيتك هكذا و كنت قد خرجت للبحث عنك .
ياجو : أعيرني ربطة ساق . و'ضعت' . إلينا بكرسي نحمله عليه .
بينكما : ويلاه أغمي عليه ! كاسيو كاسيو كاسيو .
ياجو : أيها السيدان أشتبه في هذه المرأة الغادرة الواقعة هنا أنها شريكة
للمجرمين . صبراً قليلاً أي صديقي كاسيو . هلم بنا . أعيروني
مصباحاً . أتعرفان هذا الوجه أم لا ؟ ويلاه صديقي ومواطني
العزير ردريجو . لا لا . بلى بلى . يقيناً هو ... ويلاه ردريجو .

غراتيانو : البندقي .
ياجو : هو نفسه أكنت تعرفه ؟
غراتيانو : حق المعرفة .
ياجو : أنت السنير غراتيانو ؟ عفوك يا سيدي فإن هذه الحوادث
المشؤومة هي التي شغلتنني عنك كما ترى .

(١) قدة : قطعة .

غراتيانو: مسرور بمشاهدتك .

ياجو : كيف حالك الآن يا كاسيو ؟ أسعفونا بكرسي ...

غراتيانو: رديجو .

ياجو : هو هو بعينه . واما . جاء الكرسي (يجلب كرسي) ليحمله

أحد الحاضرين بعناية ، وسأذهب لإحضار طبيب القائد . (إلى

بينكا) أما أنت يا بنت فأبقي على نفسك من التعب . (إلى

كاسيو) إن الذي يشوي هناك صريعاً كان صديقاً كريماً عليّ ،

أي خلاف قام بينكما ؟

كاسيو : لم يكن بيننا خلاف وكنت لا أعرفه .

ياجو : (إلى بينكا) علامَ يمتنع هذا الوجه ، رُدِّيه (يعني كاسيو)

من الهواء (يحمل رديجو وكاسيو) تخلّفوا أتم أيها السادة .

ما أشدّ اصفرارك يا بنت . أتروّون شرود عينيها ؟ إذا كانت

الرعب قد استولى عليك فلتعلمنّ نبأه بعد حين . ارمقوها ،

تفرّسوا فيها ، انظروها ... أتلحون ؟ أيها السادة ستظهر

الجريمة ولو أصبح الكلام عادة مفقودة . (تدخل إميليا)

إميليا : واحرباه ! ماذا جرى ؟ أي زوجي ماذا جرى ؟

ياجو : اعتسدي على كاسيو في الظلام . هاجمه رديجو وآخرون فرّوا

فأما كاسيو فصُرع وأما رديجو فتجنّدل .

إميليا : واحربا على كاسيو النبيل الكريم .

ياجو : هذا جنّي الفسوق . بحقك يا إميليا إلا ما ذهبتِ حالاً تسألين

كاسيو أين تعشى الليلة (إلى بينكا) أترتجفين من هذا السؤال ؟

- بينكا : تعشى في منزلي ولا أرتجف البتة .
ياجو : آه تعشى في منزلك ؟ أمرك باتباعي .
إميليا : قبحاً لك يا عاهرة .
بينكا : لست بعاهرة ولكنني امرأة تعيش على هواها وعندني من العفة
مثل ما عندك يا شاتقي .
إميليا : مثل عفتي ؟ أقبحاً وكذباً ؟
ياجو : هلم بنا سادتي الأعزاء فأسُ جراح كاسيو . تصالي أنت يا بنت
ستقصين علينا قصة أخرى . إميليا عدوياً إلى القلعة وأخبري
مولاي ومولاتي بما حدث . أتفضلون بالمسير ؟ (منفرداً) هذه
الليلة ليلتي فلأما العمار وإما الدمار .

المشهد الثاني

غرفة نوم في القصر

(ديدمونه في سريرها وإلى ناحية منها مصباح يضيء)
(يدخل عطيل)

عطيل : تلك هي العسلة^(١) يا نفسي . علة أعتذر اليك عن تسميتها أيتها
التجوم الطاهرة ، ومع هذا لست عازماً على سفك دمها ولا على

(١) يريد بالعلة ضعف قدره الرجولية .

تمزيق بشرتها النقية كالثلج الصقيلة كمرمر القبر ، غير أن موتها
متحتم وإلا خانت رجالاً آخرين . لنطفىء المصباح . وبعد ...
إن أطفأتك يا وزير النور ثم قدمت أعدتك إلى إضاءتك الأولى .
ولكن متى أطفىء منك النور يا أبداع مثال من صنع الطبيعة
المامرة ، فما أعلم أيّ ضرب من المذكيّات ^(١) التي يدخرها إله
النار يستطيع أن يعيد إليك ذلك الروتق والبهاء . متى
استوصلت وردتك النضيرة أصابها الذبول والجفاف لا محالة ولن
أملك أن أرد عليها مقدرتها الحيوية . أريد أن أتشفها في منبتها
(يقبلها) يا لسّمرف الطيب الذي يكاد يُقنع المعدل بكسر
سيفه . قبة ثانية . ثم ثالثة . البشي هكذا حتى تموتى فأقتلك وأحبك
بعدها . قبة أخرى وهي الأخيرة . ما في سوابق الدهر قبسة
أعذب ولا أنكى عقبى من هذه . يجب أن أذرف الدموع ،
ولكنها دموع جارحة . هذا الألم سماوي وإنما يضرب حيث
يجب . (تستيقظ)

- ديدمونه : من هنا ؟ عطيل .
عطيل : نعم ديدمونه .
ديدمونه : أتريد المهجى إلى السرير يا مولاي ؟
عطيل : هل صليت الليلة يا ديدمونه .
ديدمونه : نعم يا سيدي .
عطيل : إذا كنت تتذكرين ذنباً مبقياً فرجة ^(٢) بينك وبين رحمة الله

(١) المذكيّات : النيران . (٢) فرجة : مسافة .

فاستغفري حالاً .

ديدمونه : ويلاه يا مولاي ما معنى هذه الكلمات ؟

عطيل : استغفري واختصري سأثني قليلاً ريثما تذهبين . لا أريد قتل نفسك وهي خاطئة ، أبيت الله . لا أريد قتل نفسك .

ديدمونه : أتذكر القتل ؟

عطيل : إياه أذكر .

ديدمونه : إذن لترحمني السماء .

عطيل : آمين بكل جوارحي .

ديدمونه : أرجو ألا تفعلَ وإن تكلمت هكذا .

عطيل : هيم هيم .

ديدمونه : ومع هذا الأمل أنا خائفة منك لأنك لا تردّ متى كانت عيناك تدوران هكذا ... لم أخاف ولا ذنب لي . ما أدري . ولكنني شاعرة بالخوف .

عطيل : فكري في خطاياك .

ديدمونه : لا إثم لي إلا هوالك .

عطيل : لهذا ستموتين .

ديدمونه : ليس من المألوف قتل المحب من أجل حبه ، ويلاه لم تمضُ هكذا على شفتك السفلى ، أجد بك الهزيمة التي تهترها حين سفك الدماء غير أنني أرجو ألا يكون تهديدها موجهاً إليّ .

عطيل : اهدئي وأصفي .

ديدمونه : سأفعل ... ماذا تريد ؟

عطيل : ذلك المنديل الذي كنت أحبه كثيراً وأعطيتك إياه أنت أهديته
إلى كاسيو !

ديدمونه : لا وحياتي ونفسي ... استدع هذا الرجل وليسأل .

عطيل : احذري يا حبيبتي احذري من الحِنَّث^(١) وأنت على سرير الموت .
ديدمونه : نعم ولكن لا . لا أموت الآن .

عطيل : بلى الآن . وأن تعترفي خير لك لأنك لو أنكرت كل جزء من
أجزاء ذنبك وشفعت كل إنكار بقسم لما بددت قِرة العقيدة
التي أتألم منها . ستموتين .

ديدمونه : إذن ليرحمني الله .

عطيل : آمين .

ديدمونه : ارحمني أنت أيضاً . لم أسيء إليك قط في حياتي ولم أحبب كاسيو
بل وددته كما أباح الله الوداد المألوف ولم أهاده لعمري بشيء ما .

عطيل : لقد رأيت منديلي في يديه ، ويحك من امرأة خائنة إنك لتغيرين
قلبي إل - حر وتحولين إلى مصل ما كنت اعتقده قرباناً . رأيت
المنديل بعيني .

ديدمونه : لعله وجدته ضائعاً أما أنا فلم أعطه إياه . أرسل في طلبه
وليُعترف بالحق .

عطيل : قد اعترف .

ديدمونه : ماذا تقول يا مولاي ؟

عطيل : إنه قضى منك مارباً .

(١) الحنث : الكذب في اليمين .

- ديدمونه : مأرب سوء .
- عطيل : نعم .
- ديدمونه : لن يقول ذلك .
- عطيل : أجل لأن فيه أقفل وقد صدر أمرى إلى ياجو الوفي بما يجب .
- ديدمونه : إن خوفاً قد أدرك معنى هذه الكلمات . أمات ؟
- عطيل : لو كانت له أعمار عداد شعره لافتستها كلها .
- ديدمونه : ويلاه قد خانوه وأضاعوني .
- عطيل : اهلكي يا فاجرة أتبكينه بمشهد مني .
- ديدمونه : بحياتك يا سيدي انفي ولكن لا تقتلني .
- عطيل : اهلكي يا فاجرة .
- ديدمونه : اقتلني غداً ودعني أعيش الليلة .
- عطيل : إذا حاولت المقاومة ...
- ديدمونه : نصف ساعة بلا مزيد .
- عطيل : لا تأخير .
- ديدمونه : ميقات ما أصلي .
- عطيل : لات ساعة صلاة (١) .
- (يخنقها)
- إميليا : (من الخارج) مولاي مولاي ا
- عطيل : ما هذا الصوت . لم تمت تماماً إني لقاسٍ ولكن رحيم . لا ينبغي إطالة عذابك . هكذا هكذا .
- إميليا : (من الخارج) مولاي مولاي ا

(١) مضت ساعة الصلاة .

- عطيل : من هنا ؟
- إميليا : مولاي الكريم ، كلمة واحدة !
- عطيل : نعم هي إميليا . حالاً . ماتت . لعلها قادمة تخبرني بموت كاسيو . كانت الضوضاء شديدة . آه امتنع كل حراك . ساكنة كالقبر .
- أسمح بدخولها . أيجسن . أظنها تتحرك . لا . ما الأصلح . إذا دخلت حاولت بلا ريب مخاطبة امرأتي . امرأتي ... أية امرأة . لا امرأة لي ... يا للذكرى الفاجعة يا للساعة القاصمة .
- يخيّلُ إليّ أن بالشمس والقمر 'مخاقاً' فظيماً في هذه الساعة ، وأن كرة الأرض ستنشق بين هذا الاختلاط .
- إميليا : (من الخارج) يا سيدي الكريم أستحلفك أن تسمح لي بكلمة .
- عطيل : كنت قد نسيت . ادخلي يا إميليا . تهلي . حالاً . لنسدل الأستار . أين أنت ؟ (يفتح الباب) ماذا تلتمسين في مثل هذه الساعة ؟
- إميليا : يا سيدي الكريم قد ارتكبتْ جناية منكرة .
- عطيل : متى ؟ الآن ؟
- إميليا : الساعة يا سيدي .
- عطيل : هذا ناتج من مخالفات القمر لأنه يقرب من الأرض أكثر مما يجب . ويُدخِلُ الجنون على الناس .
- إميليا : كاسيو يا سيدي قتل شاباً بندقياً يدعى ردريجو .
- عطيل : قتل ردريجو وقُتل كاسيو !
- إميليا : لا ... كاسيو لم يقتل .

عطيل : كاسيو لم يقتل إذن فالقتل يتغنى غلطاً والانتقام المطرب يشوش
أنغامه .

ديدمونه : آه قتلت خطأ . خطأ قتلت .

إميليا : ويلاه ما هذا الصوت ؟

عطيل : أي صوت ؟

إميليا : صوت مولاتي . الغياث الغياث . أي سيدتي تكلمي مرة أخرى ،
أي ديدمونه الطاهرة ، أي مولاتي الرقيقة تكلمي .

ديدمونه : أموت بريئة !

إميليا : ومن جنى هذه الجناية ؟

ديدمونه : لا أحد . أنا جنيتها . أستودعك الله ، اذكريني لدى مولاي
الحبيب . آه أستودعكم الله . (تموت)

عطيل : ولكن كيف أميتت ؟

إميليا : من يعلم ، يا للأسف .

عطيل : أسمعت من لها أنني لم أكن أنا الفاعل ؟

إميليا : هذا ما قالته وعلي أن اجيب بالحق .

عطيل : ذهبت إلى جهنم المحرقة بها كانت تكذب . أنا الذي قتلتها .

إميليا : أواه ، إنها بهذه الميتة لم تزد إلا طهارة الملك الكريم ، كما أنك

لم تزد مجنايتك إلا سواد الشيطان الرجيم .

عطيل : كانت عاهرة .

إميليا : اتهمتها كذباً ووشاية . أنت إبليس .

عطيل : كانت غشاشة الظاهر كالماء .

إميليا : وأنت جَسور كالنار بقولك إنها غشاشة . كلفني عليها كانت
أصدق من أبرار السماء .

عطيل : كاسيو ضاجعها ... اسألي زوجك عن ذلك ، ولولا هذا السبب
الحق لما فعلت فعلتي إلا وأنا هالك إلى أدنى قاع جهنم .

إميليا : زوجي ؟

عطيل : بعينه .

إميليا : كان يعلم أنها متعفة لوليتها ؟

عطيل : نعم ... وأنها زنت مع كاسيو . على أنني لولا ذنبها هذا لو
أبدلت منها بالعالم وقد أُجمع إلى جوهرة واحدة ما رضيت .

إميليا : زوجي ؟

عطيل : نعم هو أول من أطلعني على سرها وإنه لرجل صالح يكره
الخطأة التي تملق بالأعمال السيئة .

إميليا : زوجي ؟

عطيل : ما معنى هذه الإعادات ... قد قلت لك يا امرأة إنه زوجك .

إميليا : يا مولاي إن القدر قد قامر الفرام مقامرة خديعة ... أزوجي
الذي قال إنها فاسقة ؟

عطيل : هو نفسه يا امرأة . زوجك نفسه أفهمت ؟ صديقي زوجك
ياجو الوفي المخلص .

إميليا : إن كانت هذه وشايته فليت نفسه الشريفة تتعفن كل يوم مرة .
إنه كذّاب من صميم فؤاده وإنها كانت مجنونة حبا بالبعث
الخفيف الذي اختارته بعلا .

عطيل : الله !
إميليا : إفعل كل فظيمة بعد الآن فإن نفسك لا تستحق النعيم بأكثر مما كنت تستحقها عروساً لك .

عطيل : أولى لك السكوت .
إميليا : ليس عندك من الاقتدار على الإيذاء نصف ما عندي من الجلد يا أيها المخدوع يا أيها الأبله . لقد ارتكبت جريمة ... لا أخاف سيفك وسأكشف أمرك حتى لو كانت لي عشرون حياة وفقدتها .
الغياث الغياث . المدد المدد ، المغربي قتل مولاتي . على القاتل على القاتل .
(يدخل منتانو وغراتيانو وياجو)

منتانو : ماذا جرى أيها القائد ؟
إميليا : أنت يا ياجو حضرت . لا جرم أنك أحسكت سيرك فجعلت الناس يلقون عليك تبعات آثامهم .

غراتيانو : ماذا جرى ؟
إميليا : كذب هذا المجرم إن كنت رجلاً . يقال إنك وشيت عنده في امرأته وأعلم أنك لم تفعل . ولست ذلك الأثيم ... تكلم لأن قلبي فائض بما فيه .

ياجو : قلت له ما كنت أعتقد ولم أزد على ما تحقق بنفسه .
إميليا : ولكن أذكرت له مرة أنها غير مستقيمة .
ياجو : نعم .

إميليا : كذبت على الله وعليه كذباً قبيحاً مهلكاً للنفس . أهي اقررت
إنما مع كاسيو . أقلت مع كاسيو ؟

- ياجو : مع كاسيو يا قوادة ، اقطمي هذا اللسان .
 إميليا : لا أقطعه وسيدتي هنا مقتولة في سريرها .
 الجميع : معاذ الله .
 إميليا : ولم يرتكب هذا الجرم إلا بناء على سعياتك .
 عطيل : لا تدهشوا يا سادة هذا هو الحق .
 غراتيانو : أمر غريب .
 منتانو : عمل فظيع .
 إميليا : مكيدة مكيدة مكيدة . شعرت بها من قبل وما صدقت
 يا للمكيدة يا للمكيدة سأموت غماً .
 ياجو : أنت مجنونة عودي إلى البيت .
 إميليا : يا سادتي ائذنونني بالكلام ، يجب أن أطيعه أما الآن فلا ولعلي
 لن أعود أبداً يا ياجو .
 عطيل : (يسقط على السرير) آه آه آه .
 إميليا : نعم تقلب واجار لأنك قتلت أظهر وأرق بريئة رفعت عينها
 إلى السماء .
 عطيل : (تاهضاً) بل كانت زانية . لم أعرفك قبلاً أيها العم . هنا كريمة
 أخيك مضطجعة وهاتان هما اليدان اللتان أخذتا أنفاسها وأن
 هذا العمل أعلم فظيع شديد القسوة .
 غراتيانو : يا لها من مسكينة . أحمد الله أن أباه سبقها من فرط الحزن
 الذي مزق نسيج حياته ، ولو كان الآن حياً لدفعه هذا المصاب
 إلى عمل هائل من أعمال اليأس يطرد به ملك الرحمة من جانبه

ويستنزل عليه لعنة ربه .

عطيل : هذا محزن في النهاية ولكن يا جو يعلم أنها ضاجعت كاسيو ألف مرة وكاسيو اعترف بذلك وقد كافأته على أعماله الغرامية بأن أعطته ما أهديته إليها في أوائل الحب بيننا دليلاً على شفقي بها وأخلاصي لها ، ثم إنني رأيت هديتي في يده وهي منديل كانت أبي قد أهداه إلى والدتي .

إميليا : يا إله السماء !

يا جو : إخرسي .

إميليا : لا بد من إظهار الحقيقة ، أأسكت أيها السادة ؟ لا لا ، سأتكلم بطلاقة ريح الشمال . السماء والناس والزبانية كلهم كلهم يصبحون بالمار علي* إذا لم أتكلم .

يا جو : تعقلي وارجعي إلى البيت .

إميليا : كلا . (يهجم يا جو عليها ليضربها بمخنجره)

غراتيانو : عَيْبُ رَفْعُ السِّلَاحِ عَلَى امْرَأَةٍ .

إميليا : يا أيها المغربي البليد ، المنديل الذي تذكره وجدته أنا بالمصادفة وأعطيته لزوجي لأنه كان كثيراً ما يُلحُ علي* بسرقة و كنت أتعجب من شدة اهتمامه بتأنيبه كبلده .

يا جو : يا للومس الجانية !

إميليا : أعطته لكاسيو - كلا - واحسراه ، أنا التي وجدته ضائعاً

وأعطيته لزوجي .

يا جو : تكذابين يا قدرق (يطعنهما ويهرب)

إميليا : بالله العظيم لا أكذب يا سادتي (إلى عطيل) ويحك من قاتل أبه
ما كان لأحق مثلك أن يمايش حوراء كهذه .

عطيل : أليس في السماء حجارة غير التي تستخدم للصواعق ، يا للمجرم
الذي يفوق دهاؤه كل تصور .

غراتيانو: هذه المرأة تميد . سقطت قتلها ولا شك .

إميليا : نعم ، انقلوني إلى جوار سيدتي .

غراتيانو: لقد هرب .

منتانو : هو مجرم بلا مراء . خذوا هذا السلاح الذي نزعته من المغربي
وانهبوا الحراسة الباب الخارجي ولا تدعوه يبتاره أو تقتلوه ،
أما أنا فسألحق بذلك المجرم . إنه لعبد هالك النفس . (يخرج)

إميليا : علام كانت تدل أنشودتك يا سيدة . أصغي . أسامعة . سأموت
متغنية ، الصفصافة الصفصافة الصفصافة ، أيها المغربي كانت
طاهرة . كانت تحبك أيها القاسي . ليت نفسي تنجو بمثل ما
أقول الحق وأصرح عما في ضميري ، أموت أموت .

عطيل : عندي سيف آخر في هذه الغرفة . سيف إسباني ماض بمجوهر
ها هوذا - يا عمّ يجب أن أخرج .

غراتيانو: إذا حاولت الخروج جازفت في عمرك ، لست مسلحاً وقد تقع
على ما تكره .

عطيل : إذن أرجع وتعال كلمني وإلا هجمت عليك مع كوني أعزل .
(يدخل غراتيانو)

غراتيانو: ما تروم ؟

عطيل : أنظر ، ممي حسام مما لم يتفقد مثله جندي ولقد شهدت زمناً كنت فيه بهذه الذراع الصغيرة وهذا السيف الوفي اقتنع لي طريقاً بين عقبات تربو عشرين مرة على ما تتصور . ولكن يا للفخر الباطل ! من الذي يخالف المقدور عليه . الآن أنا غير ما كنت فلا تخف ولو رأيتني مسلحاً . هذا محط رحالي ومرابطٌ شراعي وغاية سفري - أتراجع من الرعب - رعبك لا طائل تحته . وجه خيزرانة إلى صدر عطيل وهو الذي يتراجع . إلى أين يستطيع عطيل أن يذهب الآن - أريني كيف وجهك في هذه الساعة ؟ يا للمرأة التي ولدت تحت طالع منحوس . إنك لصفراء بلون قميصك فإذا التقينا لدى محكمة الله فرؤيتك على هذه الصفة تكفي لإسقاط روعي من السماء فيلتقطها الزبانية (١) - هامة يا بني ، قريرة كطهارة نفسك . ويل للشحاذا اللعين . أهسا الشياطين اطرردوني ضرباً بالسياط من أمام هذا النور السماوي واقذفوا بي أتقلب وأتدهور بين العواصف بلا استقرار ، أغلوني في النفط ، دحرجوني إلى أعماق بعيدة من النار السائلة . أي ديدمونه لقد مت مت آه آه ...

(يدخل لودفيكو وياجو وكاسيو)

لودفيكو : أين ذلك الشقي المختبل ؟
 عطيل : الذي كان عطيلاً ؟ هانذا ...
 لودفيكو : أين ذلك الثعبان ؟ هاتوا ذلك المجرم ...

(١) الزبانية : الشياطين .

- عطيل : أتفترس في رجيله ! هذه أعجوبة من خرافات الأولين . إذا كنت شيطاناً فلن أستطيع قتلك .
- لودفيكو : اتزعوا منه سيفه .
- ياجو : جرحت يا سيدي ولكن لم أمت .
- عطيل : أريد أن أعيش لأن الموت سعادة .
- لودفيكو : أي عطيل الذي كنت عنوان الفضائل واستلمت لمكايد هذا الشحاذا الهالك ، بأي اسم ستسمى ؟
- عطيل : ليسموني كما يشاؤون إن أنا إلا قاتل شريف لأنني لم أفعل فعلي عن حقد بل دفاعاً عن الشرف .
- لودفيكو : هذا الحقير اللئيم اعترف بجزء من جريمته . أكنت متواطئاً معه على قتل كاسيو ؟
- عطيل : نعم .
- كاسيو : يا قائدي العزيز لم أفعل قط ما يسوءك .
- عطيل : أنت صادق وألتمس منك الصفح . أتريد أن تتفضل وتسال هذا النصف الشيطان لماذا سحرَ عقلي وجسمي كما فعل ؟
- ياجو : لا تسألوني شيئاً فقد علمت ما علمتموه وبعد هذه اللحظة لن أنبس بكلمة .
- لودفيكو : حق ولا الصلاة !
- غراتيانو : إن التعذيب سيفضُّ فاك .
- عطيل : هذا هو العمل الصالح المفيد .
- لودفيكو : أيها السيد يجب أن تعلم من بقية المسألة ما لم تزل تجهله فيما أظن .

هذا كتاب وُجِدَ في جيب ردريجو الذي قتل وهذا آخر ، ومن أحدها يؤخذ أن مقتل كاسيو كان منوطاً بردريجو .

عطيل : يا للمجرم !!
كاسيو : يا للعمل الشنيع الذي لا يعمه إلا وثنى .
لودفيكو : وهذا كتاب آخر وُجِدَ في جيبه كان في عزم ردريجو على ما يظهر أن يرسله إلى هذا الأثم الهالك غير أن ياجو لقيه قبل إرساله وتمكن من تهديقه خاطره .

عطيل : ويحك أيها الشقي المؤذي ، كيف وُجِدَ بيدك ذلك المنديل الذي كان لامرأتي يا كاسيو ؟

كاسيو : وجدته في غرفتي واعترف هو نفسه منذ هنية أنه كانت ألفاء بيده فيها لقصد ما .

عطيل : يا مجنون يا مجنون يا مجنون .

كاسيو : ويظهر علاوة على ما ظهر من كتاب ردريجو أن ياجو هو الذي كان باعثة على التحرش بي في ليلة الحرس . ومن هذه الحادثة "نجم عزلي" . ثم ظهر أيضاً منسذ قليل بإقرار من نفس ردريجو الذي تكلم بعد أن "ظن" ميتاً أن ياجو هو الذي دفعه إلى قتلي وياجو الذي ضربه بخنجره ليُجهز عليه .

لودفيكو : يجب عليك ترك هذه الغرفة واللحاق بنا فقد استرددت منك إمارة الجند وحكومة قبرس وقتلها كاسيو مكانك . أما هذا المجرم المتفنن فمها نجد من ضروب التعذيب لإيلامه أبعد ما يكون أجلاً فهو ما سنعذبه به وأما أنت فتبقى سجيناً إلى أن

يعلم أمرك في البندقية . هلموا اقتادوه .

عطيل : رويدكم أقل كلمة أو كلمتين . لقد خدمت البسلاد بعد الخدم ويعرفونها فلا أطيل عن هذا القدر في هذا المعنى . ولكن أرغب اليكم حينما تقصون قصتي في رسائلكم أن تذكروني بحقيقتي لا بزيادة ولا بنقصان وألا تدخلوا فيها شيئاً من المكر السيء فإذا فعلتم ذلك وصفتم حال رجل لم يعشق بتعقل ولكنه كان خالص السريرة متجاوز الحد في حبه ، رجل دافع الغيرة عن نفسه جهده فلما تمكنت منه تمادى فيها إلى النهاية ، رجل غلب الأسى عليه على أنها لم يكن من شيمتها البكاء فذرفت من الدموع أغزرَ ما تنضجه أشجار جزيرة العرب من صمغها الشافي . هكذا أرجو أن تصفوني وأضيفوا إلى ما تقدم أنني عندما كنت في حلب وأهان أحد الأعداء رجلاً من البندقية وثبت به وجعلت يدي في عنقه وضربته ... هكذا . (يضرب نفسه)

لودفيكو : يا للختام الرائع .

غراثيانو : قد تلاشى كل ما كنا في تدبيره .

عطيل : (زاحفاً نحو سرير ديدمونه) لقد قبيلتك قبل ممالك والآن

يبقى لي إلا أن أموت في قبلة .

كاسيو : كنت أخشى هذه النهاية لكنني لم أظن أن معه سيفاً ... قضر

وكان قلبه كبيراً ...

لودفيكو : أين كلب إسبرطة . يا أفسى من الألم والجوع والبحر انظر هذ

الجثث الطاهرة المتراكمة على هذا السرير . هذا عملك . منظر

ينفثُ ناقِصَ السم في الأبصار فآلقوا عليه غطاءً — أي غراتيانو
احرس البيت وتسلم تركة المغربي فهي اليك — وأنت أيها السيد
الوالي تحم في عقاب هذا المجرم الجهنمي بما تشاء . اضرب لذلك
أجلاً وعين مكاناً واختر آلات التعذيب ثم عذبه بمنتهى الشدة
وبلا رحة ساجر من فوري عائداً إلى البندقية حاملاً إلى القوم
بقلب حزين خبير هذه الحادثة الفاجعة .

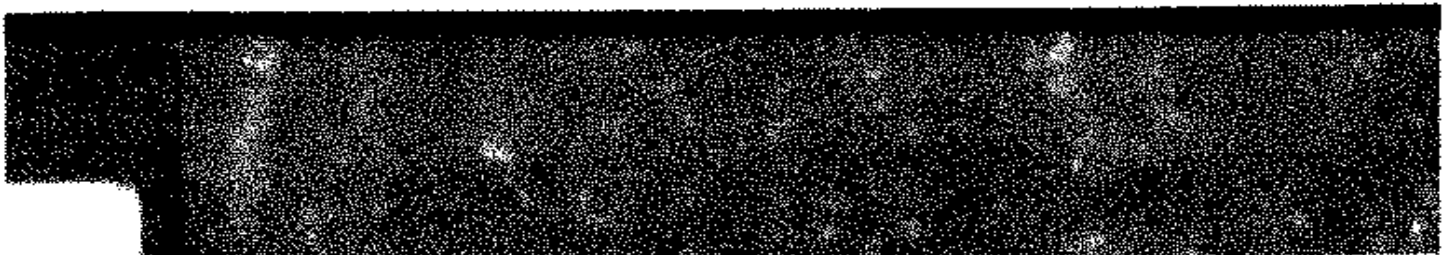
(تمّت الرواية)



General Organization of the Ministry of Education
100, Hadramout Street, Aden

.

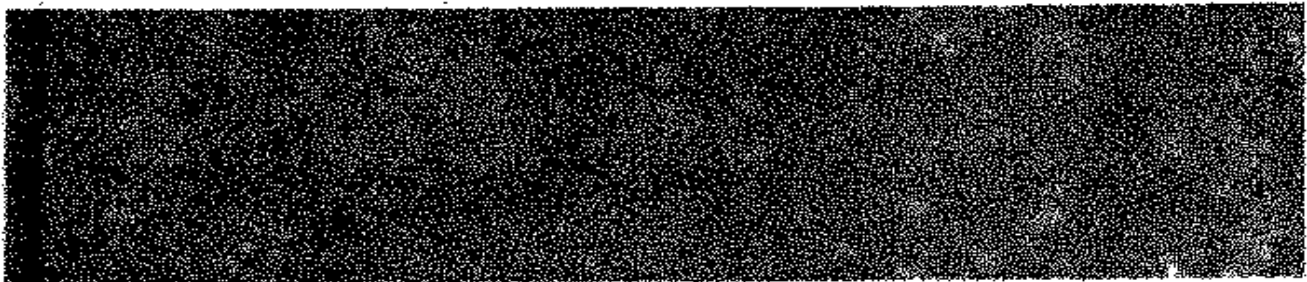
.



33

3

1



To: www.al-mostafa.com